قضايا نظرية

١

تركيب الطبقات والصراع الطبقي في الوطن العربي

حركة التحرير الشعبية العربية

قضايا نظرية ١

تركيب الطبقات والصراع الطبقي في الوطن العربي

حركة التحرير الشعبية العربية

مقـــدمة

تتضمن الصفحات التالية نص محـاضرة ألقـاها الرفيق ناجي علوش فى أوائل عام ١٩٧٩ حـول تركيب الطبقات ، والصراع الطبقي فى الوطن العربي ، كما تتضمن حوار دار حولها ٠

وقد قدمنا النص ، كما هو ، ولم نجـر عليه الا تصحيحات طفيفة جدا ، أغلبها فى ميدان اللغة وتركيب الجمل ٠

والهدف من تقديم المحاضرة والحوار هنا، مواصلة الحوار حول قضية لم تحظ بالبحث الشامل والدراسة المعمقة ٠

ونأمل أن يقود الحوار الى ايضاح كثير من القضايا التى يتضمنها النـص ، والتي لـم تسمـح المحاضرة ولا الحـوار بالاستفاضة فى بحثها ، وفى اعطائها كل مدلولاتها ٠

وقد خلا نص المحاضرة من الارقام اللازمة، ومن التوثيق، لأن المحاضرة قدمت دون كتابة ، وهي أساس لدراسة ما زالت قيد الاعداد ٠

« لجنة الثقافة والاعلام »

التركيب الطبقي في الوطن العربي

من المقرر أن نتحاور اليوم حول موضوع يشغل أذهاننا جميعا ، وهو الصراع الطبقي فى الوطن العربي · ولا أكتمكم ان النقاش فى هذا الموضوع ليس سهلا ، لا لسبب ، الا لأن الارقام والاحصائيات غير متوفرة بشكل دقيق ، وفى بعض الاحيان ليست متوفرة اطلاقا · ولقد بذلت جهودا كبيرة خلال السنتين الماضيتين للحصول على معلومات وأرقام تتعلق بقضايا السكان والتنمية ، والوضع الطبقي ، فلم استطع أن أحصل الا على مصادر أجنبية فى الغالب · وهذه المصادر تشير الى عدد كثير من الحقائق والارقام ، ولكنها لا تشير الى ناحية هامة ، وهي توزيع الدخل · وتوزيع الدخل لا بد منه ، اذا أردنا أن نعرف اللائحة الطبقية بدقة · كيف يمكن أن نتحدث عن قضايا الطبقات ، وصراع الطبقات ، اذا كنا لا نعرف كيف يُوزع الدخل على المواطنين ، ولا نعرف من الذين يملكون ، ومن الذين لا يملكون ، ومن هي الطبقات الوسيطة · كيف يعيش الفقراء فى هذا المجتمع العربي ؟ كيف تعيش البرجوازية الصغيرة ؟ كيف تعيش البرجوازية ، وكبار الملاكين العقاريين الخ· ومع ذلك فأنني مطالب أن أتحدث فى هذا الموضوع · وسأتحدث فيه الان بشكل أولي :

لمحـــة عامـــة

سأقدم ملاحظات عامة ، وذلك من أجل أن نكون قادريـن على بحث هذا الموضوع، ومن ثم كتابته بشكل دقيق فيما بعد.

وعلينا من أجل ذلك أن نحصل على ما لم نحصل عليه من الارقام . ويبدو أن الدول التي تعرف جيدا أن هنالك اختلالا حقيقيا فى توزيع الثروة بين مواطنيها، حريصة على ألا تجري هذا النوع من الاحصاءات . فاذا ما أجرتها ، فهي حريصة على أن تبقيها سرا من أسرارها . وقبـل أن نتحـدث فى موضوع الصراع الطبقي ، لا بد أن نشير الى أن الصراع الطبقي يتأثر بمجموعة من العوامل السياسية والاقتصادية والتطورات كما يؤثر فيها .

فاذا ما أردنا أن نتناول موضوع الصراع الطبقي فى الوطن العربي الان ، فاننا نجد لزاما علينا آن نتحدث عـن التطورات السياسية التي حدثت خلال السنـوات الثـلاثين أو الاربعين الاخيرة ، لأنها أحدثت انتقالا فى وضع الوطن العربي . وهذا الانتقال لا بد أن نتحدث عنه بشيء من الايجاز .

ولقد كانت هنالك ، خلال العقـــود الاربعـة الماضيـة، تطورات هامة فى الوطن العربي يمكن تلخيصها بالتالي :

أولا : تصاعد الصراع السياسي بعد الحرب العالمية الثانية ضد الاستعمار المباشر وضد الاحتلال ، واذا أردنا أن نكـون أكثر دقة ، ضد أشكال السيطرة الامبريالية المباشرة ، مما نتج

عنه تحرير أكثر الاقطار العربية المحتلة من سيطرة الاستعمار المباشر • ففي المغرب خرج الاستعمار الفرنسي من مراكش ، كما خرج من الجزائر وتونس • وفى المشرق انتهت السيطرة البريطانية على عدن ، بعد حرب تحرير وطنية، واستقلت امارات الخليج العربي • وفى الوقت عينه كانت الجماهير العربية فى أقطار عربية أخرى كمصر والعراق وسوريا ولبنان مثلا تناضل من أجل انهاء ما يمكن أن يسمى عهد الانتدابات والمعاهدات • فلقد كانت هذه الاقطار مرتبطة بالامبريالية من خلال معاهدات ، اتفقت البرجوازية المحلية على عقدها مع المستعمرين، أو من خلال صيغ انتداب مختلفة• واستطاعت هذه الاقطار أيضا ، ضمن اطار التدهور الذي أصاب بعض القوى الامبريالية بعد الحرب العالمية الثانية ، كالامبرياليتين الفرنسية والبريطانية ، ونتيجة تطور قوة الدول الاشتراكية ، وتصاعد حركات التحرر الوطني ، ان تنهي أيضا عهد الانتدابات والمعاهدات • والى جانب ذلك ارتبطت المعركة ضد السيطرة الامبريالية المباشرة ، وضد السيطرة الامبريالية غير المباشرة ، بالمعركة ضد القوى الرجعية المحلية التي كانت أدوات للامبريالية الخارجية• وكان من نتيجة ذلك أن سقطت قوى وطبقات حاكمة فى مصر وسوريا والعراق ، وهي أقطار عربية أساسية • وكانت هذه الطبقات والقوى ، تتكون أساسا من الملاكين العقاريين الكبار، ومن البرجوازية التقليدية ـ أي الكمبرادور ـ الذي يلعب دور الوسيط بين السوق الامبريالية والسوق المحلية • كانت هذه المعركة جزءا من المعركة السياسية ،ولكنها أدت الى أشكال

مختلفة من الاستقلال الاقتصادي ، ومن تغيير البنية الطبقية الداخلية • اذ قفزت فى هذه الاقطار عناصر من البرجوازية الصغيرة ، تدعمها جماهير من العمال والفلاحين الى السلطة بأشكال مختلفة ، وبأسماء مختلفة ، لكي تضرب الاقطاع من جهة ، وتضرب السيطرة الاحتكارية الامبريالية على السوق الداخلية بأساليب متنوعة ونسبية أيضا ، نتج عن ذلك كله:

أولا : تقهقر الاقطاع وشبه الاقطاع وسيطرة الملاكين العقاريين الكبار على السلطة السياسية الداخلية فى عدد من الاقطار العربية ، وتقهقر البرجوازية بأشكالها المختلفة وشكلها الأساسي الكمبرادوري•

حدث ذلك مثلا فى مصر ، وفى العراق ، وفى سوريا ، كما حدث فى ليبيا ، وحدث أيضا فى اليمن الديمقراطية • ورافق ذلك كله صعود شرائح أو فئات من البرجوازية الصغيرة الى السلطة • الى ماذا أدى ذلك ؟؟

أدى ذلك ولأسباب مختلفة ، الى تراجع الزراعة ، أو لنقل تقهقر الانتاج الزراعي، وانخفاض عدد العاملين فى الزراعة، بالنسبة لمجموع العاملين من السكان ، وأدى الى اتساع نطاق الصناعة عموما ، والصناعات التحويلية الاستهلاكية خصوصا، وأدى الى اتساع نطاق قطاع الخدمات • ولكل عامل من هذه العوامل أثره فى تطور الحياة السياسية الداخلية ، وبالتالي الحياة الاقتصادية الداخلية •

سنقرأ بعض الارقام التي تساعدنا علي فهم هذه الحقائق،

على أن نأخذ بعين الاعتبار أنّ عدد السكان أيضا تطور خلال هذه المرحلة ·

ومع أنه ليس لدينا احصاءات عن كل الاقطار العربيـــة، فان لدينا احصاءات عن بعض الاقطار العربية تعطي مثالا :

نسبة العاملين فى الزراعة لمجموع العاملين اقتصاديا سنة ١٩٧٦

اسم الدولة	النسبة المئوية
البحرين	٥،٦ ٪
العراق	٥٦،٤ ٪
الاردن	٢٨،٨ ٪
الكويت	٢،٨ ٪
لبنان	١٦،٩ ٪
قطر	٢،٨ ٪
السعودية	٦٦ ٪

(وهذا لا يعنـــي ان السعوديـــة بلـــدا زراعي، ولكن ليس فيها ايضا عمل في قطاعات اخرى متطورة واسعة النطاق)

سوريا (وهي بلد زراعي)	٤٧،٩ ٪
الامارات العربية المتحدة	٢،٤ ٪
الجمهورية العربية اليمنية	٧٧،٠١ ٪
جمهورية اليمن الشعبية الديمقراطية	٤٩،١ ٪

أي أقل من ٥٠٪ يعملون فى الزراعة ·

نسبة العاملين فى الصناعة لمجموع العاملين سنة ١٩٧٦

والصناعة هنا لا تعني الصناعات الثقيلة ، بل تعني مختلف أشكال الصناعة من صناعـــات البتروكيماويـات الى صناعة المعلبات ، عدا الحرفيين ٠

اسم الدولة	النسبة المئوية
العراق	٦،٣ ٪
الاردن	١٠،٥٪
لبنان	١٧،٩٪
والرقم متقارب مع الذين يعملون في الزراعة ، لان الذين يعملون في الزراعة ١٦،٩٪ يعني حوالي (١٧٪) ٠	
قطر	٢٨،٥٪
العربية السعودية	١١،٦٪
سوريا	١١،٢٪
الامارات العربية المتحدة	٦،٥ ٪
جمهوريـــة اليمن الشـــعبية الديمقراطية	٢،٤ ٪
مصر	١٢،٧٪
الجزائر	(٢٢٠ الف)

طبعا أن مثل هذه الارقام تعطي فقط عينات ومؤشرات ، لان الارقام يجب أن تستكمل ، وأن توضـــع فى جداول لكي يمكن استخلاص موضوعات محددة منها ٠ أردت أن أقدم بعض الارقام لنرى ما هي خارطة العاملين ، وكم هي نسبة العمال، وكم نسبة العاملين فى الزراعة ٠ ويمكن أيضا أن نعطي بعض

المؤشرات عن نسبة العاملين فى الخدمات ، وأن نعطي أيضا مؤشرات عن توزيع الانتاج الوطني أو المحلي ، ودور كل قطاع من القطاعات فيه ·

مثلا فيما يتعلق بمصر :

الحرفة	النسبة المئوية لسنة ١٩٦٦	النسبة المئوية لسنة ١٩٧٤
الزراعة في الانتاج	٪٢٨،٧	٪٣٣،٦
الصناعة والتعدين	٪٢١،٧	٪٢١،٣
الكهرباء	٪ ١،١	٪ ١،٣
الانشاء والتعمير	٪ ٤،٥	٪ ٣،٧
النقل والمواصلات	٪ ٩،٣	٪ ٤،٦
التجارة والمالية والخدمات	٪ ٨،٥	٪ ٩،٩
الاســـكان	٪ ٣،٦	٪ ٣،٥
الخدمات الاخرى	٪٢٢	٪٢١،٧

توزيع نسبة العمال فى القطاعات المختلفة فى مصر

الحرفة	النسبة المئوية
الزراعة	٪٤٦،٦
الصناعة	٪١٢،٧
الكهرباء	٪ ٠،٤
الانشاء والتعمير	٪ ٣،٥
المواصلات	٪ ٤،٥
المالية والتجارة والخدمـــات الاخرى	٪ ٩،٨
الاسكان	٪ ١،٥
المرافق العامة	٪ ٠،٥
الخدمات الاخرى	٪٢٠،٥

مقارنة بين عدد العـاملين في مصر سنة ١٩٦٨ و ١٩٧٦

المهنـــة	عدد السـكان ٣٩ مليون ١٩٧٦	عدد السـكان ٣٠ مليون ١٩٦٨
عدد العمال	١١٣٤٠٠٠٠	٨١٩٥٧٤٥
في الزراعة	٥٨٤٢٦٠٥	٤١٧٨١٧٥
التعدين	٥٣٢٨٣	٣٦٣١٤
الصناعة بمختلف اشكالها		
الثقيلة والمتوسطة والخفيفة	١٢٤٧٤٠٢	٩٠١٥٣٢
الكهرباء والماء والغاز	٥٥٠٠٠	٤٠٠٠٠
الانشاء والتعمير	٢٥٢٠٠٠	١٨١٠٠٠
المطاعم والخدمات وغيرها	١٠٤٨٠٠٠	٧٤٧٠٠٠
(لاحظـــوا الزيـــادة الكـــبيرة)		
المواصلات	٤٧٦٠٠٠	٣٣٧٠٠٠
المالية والتامـين والخدمـــات الاخرى الصغيرة	١٠٥٣٠٠٠	٤٧٠٠٠٠

هذه الارقام التي تشكل عينـات لا نريـد أن نسترسل فى سردها ، لان الاسترسـال دون وضعهـا فى جـداول لا يعطي معلومات دقيقة · وهناك طبعا احصائيات عن البطالة ، ولكنها احصائيات غير حقيقية ، لان الانظمة تتحاشى دائما ذكر عدد العاطلين عن العمل فيها · ويوجد فى معظم الاقطار العربيـة، وخصوصا فى مصر بطالة عالية ، ولكـن القسم الاساسي منهـا مقنّع · ويقدر عدد العاطلين عن العمل فى مصر ثمانية ملايين، منهم ثلاثة ملايين بشكل واضح ، وخمسة ملايين بشكل مقنع · وهذه النسبة ليست متساوية فى كل الاقطار العربية ··

واذا أردنا أن نستخلص نتائج عامة من دراسة الاحصائيات الاقتصادية فى الاقطار العربية بدقة ، وأن نقارنها بنمو عدد السكان فاننا نكتشف التالي :

١ ــ انخفاض نسبةالعاملين فىالقطاع الزراعي،وانخفاض نسبة دور القطاع الزراعي فى الانتاج المحلي ، وبالتالي فى الدخل القومي ٠

٢ ــ زيادة دور القطاع الصناعي ، وخاصة الصناعات الاستهلاكية ، لان الصناعات الثقيلة لم تتطور الا فى عدد محدود من الاقطار ٠

٣ ــ زيادة دور الخدمات زيادة ملموسة ٠

ماذا يترتب على ذلك ؟

يترتب على ذلك فى الحقيقة نتائج هامة ، اذ بسبب الهجرة من الريف الى المدن ، واتساع قطاع الخدمات ، لم يزد عدد العمال فقط ، بل زاد عدد البرجوازيين الصغار فى المجتمع ، وتحول كثير من الفلاحين الفقراء ، أو أبناء الفلاحين الفقراء الى برجوازيين صغار بكل معنى الكلمة٠ لقد أصبحوا ضباطا صغارا ومعلمين وأساتذة جامعات ومهندسين ٠٠٠ الخ٠ حتى أصحاب دكاكين صغيرة، وملاكي سيارات صغيرة ، وقد أدى ذلك كله الى نمو البرجوازية الصغيرة ، وزيادة دورها بشكل عام ، كما أدى الى تقلص عدد الفلاحين ودورهم فى الحركةالسياسية، وفى الحياةالاقتصادية٠ ولكنه أدى فى الوقت عينه ، وفى عدد كبير من الاقطار العربية، الى تقلص دور البرجوازية التقليدية ، وتحول قطاعات أو فئات من البرجوازية الصغيرة باسم القطاع العام ، أو بأسم

غيرة ، الى لعب دور أساسي فى عملية الوساطة التجارية ·

وهذا أيضا أدى الى ضعف دور الملاكين العقاريين الكبار فى عدد من الاقطار العربية ضعفا كاملا ، أو جزئيا ، حسب الاجراءات المطبقة فى كل قطر ·

على الصعيد السياسي : نستطيع أن نقول أن دورهم قد انتهى فى عدد من الاقطار ·

على الصعيد الاقتصادي : ما زال لهم دور ، أو بقايا دور يمارسونه فى الريف ، وان لم يكن بالقوة التي كانوا يمارسونه فيها فى السابق ، خلال عهود سيطرتهم السياسية · بناء على ذلك كله ، ما هي اللائحة الطبقية الان ، فى الوطن العربي ؟

ان هنالك أشكالا من العلاقات السياسية والاقتصادية ، لا يفيد معها الا أن نتحدث عنها حصرا ·

الوضع فى مصر يختلف عن الوضع فى سوريا ، الوضع فى سوريا يختلف عن الوضع فى العراق ، الوضع فى العراق يختلف عن الوضع فى اليمن الديمقراطية ، الوضع فى ليبيا يختلف عن أي وضع فى العالم ، أنه وضع لا مثيل له لا فى ماضي الايام، ولا فى مستقبلها · الوضع فى الكويت أيضا ، وفى امارات الخليج وضع خاص ، وحتى لو أرسلنا الى ماركس تقريرا عن هذا الوضع لاستغرب،على الرغممن أن لديه قناعة مثلقناعة لينين، أن الواقع دائما أغنى من كل تصوراتنا · لكن الواقع أحيانا ينتج حالات ، حتى تصوراتنا لا تعتبرها طبيعية · هذا هو الوضع فى الكويت ، وفى أقطار الخليج والسعودية ، ومع ذلك

ضمن اطار هذا الوضع ، نستطيع أن نتحدث عن لائحة طبقية، تزداد اتضاحا فى هذا القطر ، وتزداد غموضا فى ذاك، ولكنها موجودة • ما زال فى الوطـــن العربي حتى الان ما يمكن أن نسميهم كبار الملاكين العقاريين ، وهم قسمان : قسم يتعاطى مع الارض والزراعة ، وقسم يتعـــاطى مع امتلاك البنايات والشقق ، وهؤلاء ملاكون عقاريون كبار • ويمكن أن يسموا البرجوازية العقارية • وهم يشكلون طبقـة موجـودة ، لها دورها الاقتصادي ، الذي كان وما زال حتى فى الاقطار التي اتخذت اجراءات لضرب الاقطاع بمعناه الزراعي ، كسوريـا ومصر والعراق • وما زال هنـالك ملاكـون عقاريون كبار يملكون أراضي واسعة تبلغ آلاف الفدادين ، ولكن بأشكـال مختلفة • فليس المهم أن يملكها شخص باسمه ، فهو يملكهـا باسم زوجته وأولاده وأولاد عمه والمرابعين الذين يشتغلون معه ، لكنه هو الذي يملك هذه الارض حقيقة • وهناك ملاكو بنايات وشقق يستخدمونها لجني الارباح • وهؤلاء على رأس قائمة القوى الرجعية فى الوطن العربي • وسنتكلم فيمـا بعد لماذا ؟ هناك البرجوازية التقليديـــة بأقسامهـا المختلفـة: البرجوازية التي تلعب دورا وسيطا كومبرادوريا، والبرجوازية التي تملك صناعات استهلاكية وتحويلية ، كما فى لبنان مثلا، وفى سوريا • وهناك البرجوازية الصغيرة بأقسامها المختلفـة القديمة والجديدة • لأن هناك برجوازييـن صغـارا جددا• وهذه البرجوازية الصغيرة سيختلف تصنيفنا لها عن تصنيف الدراسات الكلاسيكية لها ، لأن هنالك قطاعا منها يلعب دورا

الان سياسيا واقتصاديا لم تلعبه شريحة من البرجوازية الصغيرة فى تاريخ الصراعات السياسية والطبقية • ما هو هذا الدور ؟ دور قيادة السلطة ، ودور قيادة الاقتصاد من خلال القطاع العام • وسنتحدث عن ذلك ، وعن آثاره السياسية والاقتصادية فيما بعد •

وهنالك البرجوازية الصغيرة الطفيلية داخليا، وهي تلعب دور سمسرة ، ودور خدمات داخل أي قطر ، لتجني أرباحا كثيرة • وهناك أيضا كبار الموظفين والمدراء فى القطاع العام، وكبار الضباط من أبناء البرجوازية الصغيرة • وهناك المهندسون والاطباء • وهناك المعلمون الابتدائيون والضباط الصغار وصف الضباط وهناك الحرفيون المختلفون •

طبعا لم نتعرض فى هذا التقسيم ، عندما تحدثنا عن البرجوازية الصغيرة ، الى تقسيم الفلاحين ، لاننا سنتحدث عن تقسيم الفلاحين فى وقت لاحق ، ولأن من الفلاحين برجوازيين صغارا • اذ أن أكثرية الفلاحين برجوازيون صغار • وهناك الطبقة العاملة العربية ، ونسبتها كما أوضحت لكم لا تتجاوز فى المعدل العام فى كل الوطن العربي نسبة ٨ ــ ١٠٪ من نسبة القوى العاملة • أي أنها تبلغ معدل عشرة فى المائة أو أقل قليلا • وهذه الطبقة العاملة معظمها من أصول فلاحية ، ونسبتها الكبرى قريبة عهد بالعمل فى المصانع ، لان معظمها كان يشتغل فى الريف ، ومعظمها لم ينحدر من الحرفيين كما انحدر معظم الطبقة العاملة الاوربية،

بل انحدر من الريف • ومعظمها أيضا ما زال على علاقات وثيقة بالريف ، لان له بيتا ، وله أهلا وله أقارب هناك• وهناك العمال الذين يعملون فى قطاعات الانشاء والتعمير والطرق • وهناك العمال الزراعيون، وهم الفلاحون الذين لا يملكون أرضا ويشتغلون فى الزراعة ، أو الذين يملكون قليلا من الارض لا يكفيهم ، فيكونون مضطرين للعمل فى القطاعات الزراعية عند آخرين •

ناتي بعد ذلك الى الفلاحين • وعلى الرغم من أن تقسيم الفلاحين يخضع للتقسيم الطبقي فى المجتمع ، فكبار الملاكين العقاريين والاقطاعيين لهم علاقة بالريف ، لكنهم يسمون كبار الملاكين العقاريين • ومع ذلك فاننا لا نريد أن نتحدث الان عن كبار الملاكين العقاريين ، بل نريد أن نتحدث عن الفلاحين الذين يفلحون الارض بأنفسهم ، أو يفلحونها بواسطة فلاحين اخرين • والذين هم ليسوا الملاكين العقاريين الكبار ، ولا الاقطاعيين ، وهؤلاء يوزعون كالتالي :

١ ــ فلاحون موسرون : والفلاح الموسر يملك أرضا كبيرة نسبيا ، ويملك مالا يستثمره فى هذه الارض • وهو يستطيع أن يستخدم فلاحين اخرين أو عمالا زراعيين بشكل دائم • ولديه أراض فائضة عن استخدامه ، ويمكن أن يعطيها لفلاحين اخرين بأسلوب الضمان أو المرابعة، أو بأي شكل آخر يدر عليه مزيدا من الدخل •

٢ ــ فلاحون متوسطون : يملكون أراضي كبيرة نسبيا ،

ولا يملكون كثيرا من المال ، يستخدمون عـددا محدودا مـن الاجراء الزراعيين فى أراضيهم ٠

٣ ـ فلاحون فقراء يملكون أرضـــا ، ولكنهم لا يملكون أدوات للاستفادة منها الى الحـد الاقصى ، وفى نفس الوقت لا يملكون مالا ، وهم يزرعون الارض بأنفسهم ، وبالاعتمـاد على أولادهم ونسائهم ٠ ونسبة هذه الارض تختلف مـا بين قطر وآخر ، فهي قد تكون ثلاثة فدادين فى مصر ويعتبر مالكها فلاحا فقيرا ٠ وتكون مائة فدان فى جبال فلسطين ، ويعتبـر مالكها فلاحا فقيرا ٠ لأن المائة فـدان لا تكفي لاعـالة فـلاح وعائلته ، أي أن النسبة تختلف بين السهـل والجبـل ، بين الارض المروية والارض البعلية ٠

فعندما نقول أن واحدا يملـــك خمسيـن فدانا فى قرية فلسطينية فى الجبال ، فليس معنى ذلك أنـه فـلاح غني ، بل معناه أنه فلاح فقير ٠ لكن عندما يقال انه يملك عشرةفدادين فى مصر ، فهو فلاح متوسط ، وانه يملك ٣٠ ـ ٤٠ فدانا فى مصر ، فهو فلاح موسر ٠

وهناك الأجراء : هناك الفلاحون الذين يسمـون أجـراء زراعيين ، والذين لا يملكون أرضا ، أو ان الارض تكونملكا للعائلة وليست للفرد ، نأخذ مثلا عائلة عددها خمسةأشخاص قادرين على العمل، وعندها أرض لا تكفيالا لاعالة شخصين٠ ولذلك يعمل الباقون عمالا زراعيين عند فلاحين آخرين٠

هذه خطوط عامة لخريطة طبقية فى الوطن العربي ، وهي

موجودة بنسبة أو بأخرى فى كل انحاء الوطن العـــربي • وان كانت الاقطار التي تعيش على أطراف الجزيرة العربية مثـــل قطر والبحرين والخ •• والتي تعيش على النفط لا تخضع لنفس المقاييس والشروط التي تخضع لها بقية الاقطار التي فيها أراض زراعية وتجارة وصناعة وزراعة ، وفيها مصادر انتاج غير النفط• لأن قطرا مثل الكويت لا توجد فيه مصادر انتاج غير النفط وصيد الاسماك • وصيد الاسماك لا يشكل شيئا يذكر بالنسبة لانتاج النفط •

يتضمن هـــذا التقسيم اشـــارة أو مؤشرات الى الدور السياسي الذي تلعبه كل من هذه الفئات :

ما هو الدور السياسي للاقطاع وكبار الملاكين العقاريين ؟ لقد كان هذا الدور واضحا منذ بدء الاحتلال الاجنبي الحديث للوطن العربي • فلقد تعاون هؤلاء مـــع المحتلين فى مصر وفى الجزائر وفى مناطق أخرى كسورية والعراق• واكتشف المحتلون ان هؤلاء يمكن أن يكـــونوا أدوات لهم ، فنموا اقطاعياتهم ، وساعدوهم على تطوير ملكيتهم وعلى زيادتها • وقد لعبوا دورا سياسيا رجعيا لمصلحة القوى المحتلة • ويمكن أن يكون مثل مصر والعراق أفضل مثل على دور هذه الطبقة فى خـدمة القوى الامبريالية • وكانوا فى الداخـــل ينتجـون من المواد الزراعية ما يخدم السوق الامبريالية ، مثلا القطن والارز فى مصر • وكانوا على الصعيد الداخلي يلعبون دورا سياسيـــا فى قمع الجماهير ، ومنع تطور الانتـــاج ، ومنـــع التطـــور البرجوازي ، حتي تبقى السوق المحلية مهيأة لاستقبال السلع

والبضائع الاجنبية • هذه الفئة أو هـذه الطبقـة لعبت دورا معاديا للحركة الوطنية ، دورا مرتبطا بالامبريالية ، وخاضت الصراعات لمصلحة القوى الامبريالية ، خاضتها لقمع القوى الوطنية وسحقها • وبالتالي فقد اتجه حقـد جميـع القـوى الوطنية ، بما فى ذلك عناصر من البرجوازية ضد هذه الطبقة، مما أدى الى الاطاحة بها مع الاستعمـار الراحل ، سواء كان الراحل بجيوشه، أو الراحل بمعاهداته • والثورة ضد الملك فاروق مثلا سنة ١٩٥٢ ، أو الثورة ضد الملـك فيصـل سنة ١٩٥٨ فى العراق كانت ثورة اشتركت فيها جماهير واسعة من العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة، وبعض البرجوازيين ضد هذه الطبقة ، التي كانت تشكـل سندا حقيقيـا للقوى الامبريالية على الارض العربية • هذه الطبقة التي سقطت فى بعض الاقطار ، ما زالت موجودة بشكل أو بآخـر فى أقطـار أخرى مثل مراكش وتونس واليمن ، وان كانت تأخذ شكـلا اقطاعيا أو شبه قبلي • ان هذه القوى قوى رجعيـة ، وعلى رأس القوى الرجعية المعادية لأي صراع مع القوى الامبريالية، المعادية لأي تغيير داخلي ، حتى لو كان تغييرا برجوازيـا محدودا •

نأتي بعد ذلك الى البرجوازية : البرجوازية فى الاقطـار العربية نشأت على أرضية الاحتلال من جهة ، وعلى أرضيـة السيطرة السياسية الاقطاعية من جهة أخـرى • وكـان معظم البرجوازيين على علاقات وطيدة بالاقطاعيين وبكبار الملاكين العقاريين • ذلك أن الملاك العقـاريين الكبـار الذين كانت

الامبريالية تخطب ودهم ، فرزوا من بينهم وكلاء للشركات ، وكلاء لهم لكي يصدروا الانتاج الزراعي المحلي الى الخارج، ولكي يستوردوا السلع من الخارج • وبذلك يسيطرون على السوق تصديرا واستيرادا • فلم تكن هذه الطبقة البرجوازية اذن الا فى حالات محدودة منفصلة عن الاقطاعيين وكبار الملاك العقاريين ، ولا كانت منفصلة عن السيطرة الاستعمارية الامبريالية على بلادنا • ولذلك كانت منذ نشأتها طبقة وسيطة ، وليست طبقة منتجة بالمعنى الذي كانت به الطبقة البرجوازية منتجة فى أوروبا • يعني لم تكن طبقة مهتمة بتنمية الصناعة ، بمقدار ما كانت طبقة مهتمة بتنمية التجارة الداخليةوالخارجية، تصدر سلعا ومنتجات، وتستورد سلعا ومنتجات • ما تصدره انتاج زراعي أو معادن خام، وما تستورده هو سلع مصنعة • وبالتالي يبقى القطر المعنيتابعا، وتستفيد هي ماليا ، وتزيد من ثرواتها ، من رؤوس أموالها، وتزيد من استغلالها للشعب • تمنع حركة التصنيعالداخلي، كما تمنع حركة الاستقلال السياسي • وضمن هذا الاطار نشأت فئة من البرجوازية ، حاولت أن تطور صناعات وصناعات استهلاكية على هامش السوق الامبريالية العالمية، وليس بديلا لها بل هامش تابع لها • أي أنها تريد أن تنمي صناعة معينة ، تدرس امكانيات الاستفادة من صناعةامريكية او فرنسية أو بريطانية ، وتنشىء مصنعا لخدمة هذه الصناعة ، وتستورد منه الآلات ، ومعظم المواد • ولهذا فهيلم تفكر بصناعات تغني السوقالداخلية عن الصناعاتالخارجية، لكي لا ينشأ بينها وبين القوى الامبرياليةصراع حقيقي •

ولو كانت تفكر فى انشاء مصنع حديـد وصلب ، حتى تنشىء مصنع سيارات ، تكون هناك حاجة الى أن تغلق سوقها الداخلية أمام السيـارات المستوردة • ولكنها لم تفكر بهذه الطريقة• وحتى عندما جاءت شرائح من البرجوازية الصغيرة، وحكمت، ذهبت لمصنع الفيات مثلا وطلبت منه أن يقيم مصنعا للسيارات• وبقي اعتمادها على مصنع الفيات •

انها لا تفكر بمصنع ينتج سلعا تغني عن السلع المستوردة من الخارج نهائيا ، وبالتالي لم تكن مصالـح هذه الفئة التي فكرت ببناء صناعات استهلاكية وتحويلية تقتضي أن تصطدم صداما حقيقيا مع الامبريالية ، بل كانت مصالحها تقتضي أن تتفهم الامبريالية وضعها ، فتعطيها بعض التنازلات ، لـكي تعزز وضعها داخليا ، ولكي تربح أكثر • أرادت أن تبقي على هامش السوق الامبريالية ، ولذلك عندما حدث الصراع بين الجماهير العربية والقوى الامبريالية فى سورية مثلا ، أو في مصر أو فى العراق ، كانت هذه البرجوازية تذهب وتساوم ، تقول نحن مع أن يخرج الجيش البريطاني ، ولكن مع تنظيـم علاقاتنا ببريطانيا • ماذا يعـني ذلـك ؟ يعـني أن تعطي البرجوازية المحلية دورها السيـاسي ، ودورهـا الاقتصادي داخليا فقط ، لا أن يكون هنالـك صـدام بين الجماهير والبرجوازية من جهة ، وبين القـوى الامبريـالية من جهه أخرى • ولذلك فقد كان القسم الكمبرادوري الوسيـط منها عميلا مباشرا للامبريالية ، كما كانت أقسـام من الاقطـاع وكبار الملاكين العقاريين ، بينما كانت الفئات التي سعت الى

تطوير الاقتصاد تطويرا نسبيا ، تختلف وتتناقض أحيانا مع القوى الامبريالية • ولكن ليس ذلك الخلاف ، وذلك التناقض الذي يمكن أن يؤدي الى قطيعة ، والى صدام نهائي • يختلفون على دور كل منهما فى السوق الداخلية ، هل يبقى جيش أجنبي أم لا ، هل تبقى قاعدة أو تبقى خمس قواعد • تسيطرون أنتم على السلطة ، أو نأخذ نحن السلطة، ونعمل لمصلحتكم • وهذا هو جواب هذه الطبقة • السوق الداخلية ستبقى مفتوحة للسلع الامبريالية ، ولكننا سنطور الصناعة التحويلية ، فلا تقفل السوق الداخلية أمام الصناعة الامبريالية • ولهذا كان هنالك تفاوت فى موقف البرجوازيين التقليديين من القوى الامبريالية • كان بعضهم لا يقاوم الاحتلال ويتآمر معه ، وبعضهم يطالب بالاستقلال دون ان يقاتل من أجله ، لان الاستقلال يحقق لهم مصالح ، الا أنهم لا يقومون بصراع دموي ضد الاحتلال ، لان مصالحهم ليست متناقضة الى هذا الحد مع الاحتلال • وهنالك القسم الذي اهتم بتنمية الصناعات التحويلية، والذي كان يتناقض تناقضا محدودا مع القوى الامبريالية ، وكان يريدها أن تخرج• وكان فى بعض الاحيان يتحالف مع الجماهير ، ومع قواها الوطنية والديمقراطية ، لانه يريد أن يكون له دور سياسي اكبر واقتصادي أكبر • الا أن هذا القطاع كان ضعيفا، وكان ابرز ما يكون مثلا فى سورية ، وفى مصر • كان هناك قطاع من هؤلاء ، لكنه كان محدود القوة والفعالية • ولم تكن أيضا مصالحه متناقضة الى هذا الحد مع الامبريالية ، حتى يتحالف نهائيا مع حركة الجماهير • ولذلك كان كلما اشتدت حركة

الجماهير يساوم الامبريالية ، وكلما قدمت الامبريالية تنازلا صغيرا يقبله ويخون حركة الجماهير ·

ان البرجوازية التقليدية جميعها الآن ، باقسامها المختلفة الكمبرادورية ، وما كان يسمى البرجوازية الوطنية تلعب دورا رجعيا ، لانها مقتنعة انها يجب أن تظل على علاقات مع القوى الامبريالية ، ويجب أن تنمي نفسها على هامش السوق الامبريالية · وليست مقتنعة أن لها دورا تلعبه ، سواء كان ذلك سياسيا أو اقتصاديا على الصعيد الوطني ، خصوصا بعد أن تطورت ونمت حركة الجماهير ، ونما الوعي · وبعد أن جاءت سيطرة البرجوازية الصغيرة على السلطة ، تم تثبيت ما سُمي القطاع العام الذي ضرب سلطة البرجوازيين، سيان كانوا ممن سموا الوطنيين ، أو كانوا من البرجوازيين التقليديين الخونة والعملاء ·

نأتي بعد هذا الى شرائح البرجوازية الصغيرة المختلفة · عندما نتحدث عن البرجوازية الصغيرة ، يجب أن نضع في أذهاننا التالي :

انها طبقة فضفاضة واسعة تستقبل يوميا مواليد جددا من خارجها · وفي الوقت عينه تفرز في المراحل التاريخية المختلفة برجوازيين متوسطين ، يصبح بعض منهم برجوازيين تقليديين · ان في البرجوازية الصغيرة حركة مستمرة بين صعود وهبوط · البرجوازي المتوسط قد يصبح برجوازيا تقليديا ، ولكنه قد يصبح برجوازيا صغيرا فقيرا ، لأن حركة الصراع داخل الطبقة ، وحركة الصراع العام ، تؤدي الى

افلاس الكثيرين منهم وافقارهم • ولهذا فلا يجوز الكلام عن البرجوازية الصغيرة ، باعتبار ان كل واحد فيها ، يأخذ وضعا ثابتا • فليس كل واحد فيها ، أو من أبنائها ، يحتل موضعا ثابتا • وبالتالي نستطيع أن نحكم عليه اليوم ، كما نحكم عليه بعد ستة أشهر ، وبعد ست سنوات • انها فى حركة مستمرة ، تنمو وتتسع قاعدتها ، وتختلط معالم شرائحها • من كان فى القسم المتوسط منها يصبح فقيرا ، وينضم الى حركة الفقراء منها • ومن كان فقيرا يمكن أن يصبح برجوازيا صغيرا من الشريحة المتوسطة ، فتصبح له مواقف متذبذبة • ومن كان منها متوسطا قد يصبح برجوازيا غنيا تقليديا ، ويصبح مع القوى الرجعية •

وهذا من الهام جدا أن ندركه، حتى لا نصدر أحكاما ثابتة على البرجوازية الصغيرة • ان هذا الوضع العام يجعل جميع شرائح البرجوازية الصغيرة وفئاتها ، حتى أشد فئاتها فقرا، قابلة للتذبذب • لان الذي يتاح له أن يكون بالامس استاذا فقيرا يعيش مثلا بـ ٣٠٠ ليرة سورية ، أو بـ ٤٠٠ ليرة لبنانية، ويصبح الان مديرا عاما للامن العام، ووزيرا للدفاع، أو قائدا للجيش ، أو مديرا لشركة الحديد والصلب ، أو مديرا لشركة الاخشاب، ان هذا يحمل داخله ملامح انتهازية، ويحمل داخله احتمالات التذبذب ، لان وضعه قابل لمثل هذا التذبذب • ونحن نعرف أصدقاء كثيرين كانوا مثلنا، وفجأة وجدناهم مدراء شركات ، وهم لا يعرفون كيف يديرون « دراجة » ، وأخذوا امتيازات مدراء الشركات الكبار •

هذه الملامح العامة للبرجوازية الصغيرة تجعل من الصعب الحديث عنها باعتبارها طبقة متماسكة ، لها مواقف ثابتة، أو حتى الحديث عن شرائحها المختلفة بشكل ثابت ومحدد · ومع ذلك فعلينا أن نعطي تقديرات لوضع شرائحها العليا دائما، لانها معرضة للارتداد وللخيانة · فأن يكون المرء طبيبا كبيرا ، يصل دخله ألفين أو ثلاثة الاف دينار بالشهر ، وهو على صلة بالامراء والوزراء وكبار رجال الدولة ، ولديه امكانية أن يصبح وزيرا الخ·· أي امرىء كهذا من المستحيل أن يكون ثابتا فى موقفه السياسي ، وعلى الرغم أن كثيرا من هؤلاء يكون موقفه وطنيا بشكل عام ، عندما يكون خارج السلطة ، وعندما يكون الوضع قمعيا ، وعندما تتخذ السلطة منه موقفا عدائيا ، الا أن هؤلاء عندما ينتقلون الى السلطة يصبحون قمعيين معادين للجماهير ، ويصبحون على استعداد فى معظم الاحوال لاقامة علاقات متطورة مع هذه القوة الامبريالية أو تلك · انهم ينتقلون من الموقف الوطني العام الى الموقف القمعي المعادي للجماهير ، ثم الى الموقف القمعي المتعاطي مع الحقائق الدولية كما يسمونها ··

وهكذا تصبح التسوية حقيقة دولية مثلا ، ويصبح فتح السوق للبضائع الاجنبية حقيقة أو ضرورة ملحة الخ··· ويبررها لنفسه عن قناعة ، لانه بحاجة أن يبدل السيارة كل سنة · فاذا لم تفتح السوق للاستيراد ، فكيف يغير المرسيدس كل سنة ، أو يغير الفولفو ، وحتى يتسنى له ذلك يجب أن تكون السوق مفتوحة ، ويجب أن تكون هناك علاقة مع

الخارج • لأن هذه السيارة لا تصنع محليا ، وكذلك حـاجات البيت والسفر ، وما أشبه ذلك •

هناك الشريحة المتوسطة ، وهي شريحة ذات اتجاه وطني واضح يزداد التناقض معها ، كلما طرحت القضايا الاجتماعية بالمزيد من الجذرية • فاذا ظلت القضية قضية صـــراع مع الامبريالية ، وصراع مع العـــدو الصهيوني ، كـان هؤلاء متحمسين • ولكن عندما تنتقل القضيـة الى قضية الصـراع الطبقي والاجتماعي ، مثل تغيير وضـع الفقراء والحـد من امتيازات البرجوازية ، يبدأ هـــؤلاء بالتـذبذب • ولهؤلاء مصالح فى الاستيراد والتصدير ، ولهم مصالح فى الرفاهية • وهم حريصون على رفاهيتهم جدا • وبالتالي ليسوا مستعدين أن يطرحوا موضوع التقشف مثلا ، لأن التقشف يصيبهم ، ولا يصيب العمال والفلاحين ، لانهم متقشفون من ألف سنة ، أو ألفين سنة • لكن التقشف يصيبهم هم • ومعظم هؤلاء مثـلا كانوا حتى فى مصر أو فى سوريا ، قبل سنة ١٩٧٠ ضد الانظمة القائمة بشكل أو بآخر ، لانهم يريدون أنظمة تبيح للبرجوازي الصغير والمتوسط ، مدير البنك أو مدير الشركة أو الضابط الكبير، أن يستورد ما يريد بالشكل الذي يريد• وقد حققوا بحركاتهم التي قاموا بها فى سورية ومصر انتصارا سياسيا ، وأتاحوا لانفسهم ، أو أباحوا لانفسهم ما كانوا يشتهون •

ففي مصر أعادوا تركيب السلطة ، فتحالفت هذه الفئة مع بقايا الاقطاع الذي كان ما زال موجودا من عهد عبدالناصر، ومع البرجوازية الكمبرادورية التي ضربت ضربات قوية •

لقد أعادت هذه الفئة التحالف مع هاتين الفئتين ، وأنشـأوا نظاما جديدا فى تكوينه ، مكونـا من البرجوازيين الصغار الذين تحولوا الى فئة كمبرادورية تعمل لمصلحتهـا الخاصة ؛ ومن بقايا الاقطاعيين والملاكين العقـاريين الكبار ، ومن البرجوازيين التقليديين الكمبرادوريين ، فنشأ هذا النظـام الغريب العجيب ٠

فى سوريا لم تتح هذه الفئة الفرصة لبقايا الاقطاع ولبقايا البرجوازية الكمبرادورية أن تحكم ، ولكنها أعطتها كثيرا من التسهيلات والامتيازات ٠ سمحوا لها بالسفر ، وبالتجارة ، وشاركوا فى نتائج ما تقوم به، فرضوا أنفسهم بالقوة شركاء٠ لكنهم لم يعيدوها الى السلطة ، ولم يغيـروا طبيعة السلطة الحاكمة بمعنى أنهم لم يدخلوا بقايا الاقطـاع والكمبرادور السابق الى ترتيبات السلطة ٠

نأتي بعد ذلك الى الشريحةالدنيا منالبرجوازية الصغيرة، وهي الشريحة التي تتمخض عنها الافكار الثورية بمختـلف أشكالها فى الوطن العربي اليوم ٠ وهي التي تطرح الماركسية بأشكالها المختلفة ٠ وهناك حوالي عشرين أو ثلاثين أو أربعين شكلا ، وهناك أشكالا لم نحصرها ، وهي التي تطرح الافكـار القومية بأشكالها المختلفة، وهي التي تطرح الافكار الارهابية أيضا بأشكالها المختلفة ٠ ومع ذلك فهي شريحة تنتج ثوريين جيدين يلتزمون بشعبهم وقضيتهم، وتنتج كثيرا من الادعياء، سواء كانوا ماركسيين أو غير ماركسيين من الذين يطلقـون شعارات ، ويعممون مـا يسمونـه تحليـلات ، وهي ليست

تحليلات ، ويطلقون دعاوى سياسية ، ولكنهم لا يقومون بأي عمل جدي منتظم دؤوب للدفاع عن هذه الافكار ولحمايتها· ومنها الذين يصبحون ثوريين حقيقيين ، والذين يصبحون أدعياء ، ومدعين وثرثارين سياسيين ، ومفسدين سياسيين لكثرة الافكار التي يطرحونها ، والتذبذب الذي يتسمون به ، فهم يطرحون اليوم فكرة ، ويطرحون غدا نقيضها ، ويعتبرون أن الذي طرحوه اليوم استمرار للفكرة التي طرحوها بالامس · وهم يكونون يوما ماركسيين متشددين جدا ، وبعد ذلك ينكشف أنهم عملاء فى الواقع للقوى الرجعية ، يعملون لخدمتها ·

وفي وسط هذه الفئة يمكن أن ينمو الوعي الثوري، لانها فئة مهيأة اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا لتنمية وضعها الثوري· ذلك أن أقساما منها حصلت على دراسة ثانوية أو جامعية ، ومعظمها من أبناء البرجوازيين الصغار أو أبناء الفلاحين والعمال الفقراء ، وهؤلاء الناس مهيأون أن يكونوا ثوريين مناضلين ، خصوصا اذا توفر لهم الجو المناسب · وفى أوساط هذه الفئة لا بد من أن ينمو العمل الثوري ويتعمق ، ولكنمن خلال الاتصال مع الحركة الديمقراطية الشعبية ، وحركة الطبقة العاملة ، وليس بالانفصال عنها ·

ننتقل بعد ذلك الى الفلاحين · والفلاحون كما ذكرنا شرائح مختلفة ، وليسوا شريحة واحدة ·

فالفلاحون الموسرون والمتوسطون ينطبق عليهم ما ينطبق

على الشرائح العليا والمتوسطة من البرجوازية الصغيرة، لانهم في وضعها تماما • وهم وطنيون بشكل عام ، ولكنهم ضد التغيير الاقتصادي والاجتماعي ، وهم لا يقبلون من التحولات الاقتصادية والاجتماعية الا ما يخدم مصالحهم • ويفكرون دائما بتنمية ثرواتهم • يفكرون دائما بتأثير الاجراءات الحكومية على أوضاعهم الاقتصادية ، ماذا يؤثر وقف التصدير على أوضاعهم الاقتصادية ؟ وماذا يؤثر وقف الاستيراد على أوضاعهم الاقتصادية ؟ وفيما يتعلق بالفلاحين الفقراء ، فشأنهم شأن عناصر البرجوازية الصغيرة الفقيرة ، أي الشريحة الدنيا من البرجوازية الصغيرة ، لانهم برجوازيون فقراء •

وهؤلاء قابلون لكل الافكار الثورية ، ولكن ليسوا مستعدين للانغماس في « السفسطة » ، لانهم ليسوا برجوازيين صغارا مدنيين • فهم لم يدرسوا في الجامعات ، ولم يقرأوا الكتب ، حياتهم بسيطة لانهم فقراء جدا ، وباستطاعتهم العمل أكثر من الكلام • ومثل هؤلاء قد تسوقهم أية جماعة ماكرة ماهرة الى أن يكونوا ارهابيين ، أو يكونوا بقيادة قوى رجعية • كأن تقول لهم كفاح مسلح ، والكفاح المسلح هو الطريق الوحيد ، ويكون وراء الكفاح المسلح خط رجعي • ان هذا ممكن • وقد أثبتت تجربة القيادة الرجعية الفلسطينية ان الكفاح المسلح يعميهم عن التفكير بأي شيء • شعارهم : نريد أن نقاتل ، ولا بديل عن القتال، ويستشهدون دون أن يدرسوا الخط الذي يحكم هذه العملية • وهؤلاء هم المادة الهامة التي

يمكن أن تشكل منها قاعدة الحركة الثورية ، قاعدتها المقاتلة، وقاعدتها السياسية فى الريف • ولكن يجب أن يكون وراء ذلك خط ثوري ، وكوادر ثورية وقوى ثورية ، لانهم اذا تركوا وحدهم ، يمكن أن تقود أقساما منهم أية فئة ، ويمكن أن تستخدمهم حتى الفئات الرجعية من البرجوازية الصغيرة • وهم لا يملكون وعيا بذاتهم وفى داخلهم ، ولا يوجد لديهم الوعي الذي يجعلهم قادرين على التفريق الدقيق بين الصواب والخطأ الا بعد التجربة المرة • انهم وطنيون مستعدون أن يكونوا رأس حربة الثورة ، لكن باعتبارهم جزءا من حركة ثورية ، وليس باعتبارهم فئة، تعمل بقيادة برجوازيين ورجعيين • وينطبق هذا الكلام أيضا على الفلاحين الذين يعملون أجراء زراعيين ، والذين تظل بنيتهم الفوقية : عقلهم ، تقاليدهم ••• الخ• تقاليد فلاحية ، ولكنهم لا يملكون أرضا ، ويظل أملهم أن يملكوا أرضا ، وهؤلاء أنفسهم يمكن أن يكونوا جزءا أساسيا من الحركة الثورية •

نأتي الان الى الطبقة العاملة : ان الطبقة العاملة فى الوطن العربي محدودة العدد ، كما قلت ، ونسبتها بالنسبة الى العاملين محدودة• ان تكوينها حديث فى معظم الاقطار العربية، وأصولها فلاحية فى الغالب ، وبالتالي فالتأثيرات الفلاحية قوية فيها • وأكثر من هذا، فان هذه الطبقة العاملة وخصوصا فى العشرين سنة الاخيرة ، خضعت لاوضاع اقتصادية، ولتأثيرات سياسية ، مارستها عليها شرائح من البرجوازية

الصغيرة ، مما أثر فى وعيها ، أو مما ساهم فى افساد شيء من وعيها · ما هي هذه الاوضاع ؟ سياسيا انضمت الطبقة العاملة الى البرجوازية الصغيرة فى صراعها ضد الاقطاع والبرجوازية الكمبرادورية ، فأخذت البرجوازية الصغيرة قيادة الحركة ، وأصبح العمال جنودا فى حركة تقودها شرائح من البرجوازية الصغيرة · لذلك فان للبرجوازية الصغيرة تأثيرها الواسع حتى الان فى أوساط الطبقة العاملة· ومن الناحية الاقتصادية استطاعت البرجوازية الصغيرة بالبناء الاقتصادي الذي بنته، أن تستوعب أعدادا كبيرة من الفلاحين، وتجعل منهم عمالا · ولكنها وفرت لهم تسهيلات وامتيازات لم يأخذها العامل الاوروبي ، الا خلال مائة عام من الصراع · وذلك يعني ان العامل الاوروبي عندما فرض برنامج العمل من ثماني ساعات يوميا ، كان يعمل منذ مائة عام مدة ١٤ ـ ١٦ ساعة عمل يوميا · ولقد ناضل نضالا طويلا ، وأنشأ النقابات ودخل الصراعات ، وقدم شهداء ، حتى استطاع فرض الانخفاض التدريجي فى ساعات العمل التي كان برنامج الثماني ساعات ذروتها ·

ولقد انتزع العامل الاوروبي الضمانات الاجتماعية ، والاقتصادية خلال أكثر من مائة عام ·

أما بالنسبة للعامل العربي فى سوريا ، أو فى العراق ، أو فى مصر ، أو فى اليمن الديمقراطية ، فقد أخذ برنامج الثماني ساعات عمل دون أن يبذل جهدا ، لان هذا كان جزءا من برنامج البرجوازية الصغيرة لتحديث الصناعة ، ولتحديث

المجتمع ، وباعتبار ذلك وسيلة لكسب الطبقة العاملة ، وشراء صمتها ، والاحتيال عليها حتى لا تقوم ببناء تنظيماتها المستقلة • هذان السببان اذن : السبب السياسي والسبب الاقتصادي ، جعلا قسما واسعا من الطبقة العاملة ، يشعر أنه يشارك فى السلطة ، ويشعر أنه يحصل على امتيازات حسنت من وضعه فعلا ، بعد أن كان فلاحا ، لا يجد الغذاء والمعاش بانتظام ، وجعلت منه عاملا يعتبر مرفها ، اذا قيس وضعه بحياته عندما كان فلاحا• فلديه دخل، ولديه ضمانات، ولديه تطبيب ، ولديه حصته فى أرباح الشركات ، لانها قطاع عام ، وليست قطاعا خاصا • وهو فى الوقت عينه يسير فى ظل قيادة هذه القوى البرجوازية ويهتف لها• ان ذلك كله أثر فىالموقف السياسي للطبقة العاملة من ناحيتين :

فمن ناحية أثر في حرصها على تنظيم نفسها ، وبناء تنظيمها الثوري المستقل ، الذي يجعلها قوة ثورية فعالة وقوية • وأثر أيضا فيها من حيث أنه جعلها قوة مفتتة وتابعة للقيادة البرجوازية التي تستخدمها فى الاحتفالاتوالمناسبات وما أشبه ذلك ، وفى دعم نظامها من ناحية أخرى •

هل معنى ذلك ان وضع الطبقة العاملة سيستمر هكذا ؟

بالطبع لا • ان الحركة التي أنشأت مئات أو آلاف المصانع فى الوطن العربي خلال العشرين سنة الماضية زادت عدد العمال • كنت بالامس مثلا ، أقرأ عن الجزائر معلومات اقتصادية • كان فى الجزائر معمل حديد وصلب واحد ينتج الان اربعمائة ألف طن من الحديد والصلب فى السنة ، وسينتج

سنة ١٩٨٠ مليوني طن ، يعمل فيه سبعة آلاف عامل . والان يبنى مصنع آخر فى وهران ، سينتج بين عشرة واثني عشر مليون طن من الحديد والصلب . ذلك يعني أنه سيكون هناك ما بين عشرة وخمسة عشرة ألف عامل . وهناك عشرات المصانع التي تبنى بهذا الشكل فى مصر وسوريا والعراق وأقطار أخرى . والترضيات التي قدمت للطبقة العاملة ، والتي كانت منجزات حقيقية ، اذ لا يجوز أن نتجاهل أنها منجزات حقيقية ، سوف تستنفد أغراضها فىوقت قريب ، ليطرح العمال مشاكلهم الحقيقية المتعلقة بوضع وطنهم ككل ، والمتعلقة بوضعهم كطبقة عاملة. وهذا سيتبلور خلال السنوات الخمس المقبلة. ولذلك فانزيادة عدد الطبقة العاملة وحجمها وزيادة وعيها ، سيزيد من دورها فى السنوات المقبلة ، خاصة وأن الانظمة الاقتصادية المطبقة لم تستطعأن تحل المشكلات الاساسية للجماهير ، بما فيها الطبقة العاملة العربية .

بعد هذا الحديث عن الدور السياسي لهذه الطبقات والشرائح الطبقية المختلفة لا بد أن نتحدث عن مؤثرات مختلفة فى وضع الصراع الطبقي فى الوطن العربي . وهذا موضوع اعتبره هاما جدا ، اذ أن هناك مؤثرات مختلفة فى حركة الصراع الطبقي فى الوطن العربي .

ان الصراع الطبقي ووضع الطبقات يتأثر دائما بمجموعة عوامل ، بعضها قد يكون ثابتا ، وبعضها قد يكون طارئا .

وبالنسبة لنا فى الوطن العربي ، هنالك مجموعة أوضاع يجب الحديث عنها ، لانها من المؤثرات الهـامة فى حـركة الصراع الطبقي ٠

الصراع الطبقي ليس نتاج وضع عفـوي فقـط ، أي أن مجرد وجود طبقة عامـلة ، ووجـود برجوازيـة ، أو وجود فلاحين فقراء ، ووجود اقطاع لا يستلزم فى مرحلة تاريخيـة معينة أن يكون هنالك صراع ، اذا لم تدخـل عملية الوعي ، فحركة الصراع قد تأخذ أشكالا غير ثوريـة ٠ والشيء الاول الذي أريد أن أتحدث عنه فى هـذا المجـال هو وضع الطبقة العاملة من الناحية المادية ، ومن الناحية المعنوية ٠ وباختصار أود أن أقول أن الطبقة العاملة العربية من حيث حجمها قليلة العدد نسبيا ، فهي كما رأيتم من الاحصائيات ، وفى الاقطـار العربية الاساسية تبلغ من ٦ ٪ الى ١١ ٪ ٠ وليس كل فئـات الطبقة العاملة من الطبقة العاملة الصناعية، وعمال الصناعـة نسبة قليلة جدا ، اذ ما قيسوا بنسبة العاملين عامة٠ فهنـاك ٩٠ ٪ تقريبا من العاملين يعملون فى قطاعات غير صناعية٠ فعدد الطبقة العاملة محدود من حيث الحجم المـادي ، أي من حيث النسبة ، وفى نفس الوقت ، وهذه هي القضية الثانية ، ان وعي الطبقة العاملة العربية ما زال متخلفا . لأنها :

أولا : منحدرة منذ وقت قريب فى أغلبيتهـا مـن أصول فلاحية ، ولانها ما زالت واقعة تحت تأثير قيادات برجوازية صغيرة ، وبرجوازية واقطاعية وشبه‌اقطاعيةوطائفية، ولان حركات الطبقة العاملة التي قامت فى العقود الخمسة الاخيرة،

اما أنها كانت نقابية ، بمعنى انها كانت توجه العمال توجيها نقابيا فقط ، فتعزل نضال الطبقة العاملة الاقتصادي عن نضالها السياسي ، أو أن الفئات التي تحدثت باسم الطبقة العاملة ، خلال العقود الخمسة الاخيرة ، لم تكن جديرة بأن تمثلها سياسيا ، لانها كانت اصلاحية انتهازية ، وبالتالي لم تصبح هذه الفئات حتى قيادات لجماهير الطبقة العاملة ، كمعظم الاحزاب الشيوعية أو الفئات الماركسية الاخرى ...

هذا موضوع هام ، حجم الطبقة العاملة ، وضعها المادي، ووضعها المعنوي .

ثانيا : هنالك تأثيرات مختلفة تمارس على الطبقة العاملة ، وعلى حركة الصراع الطبقي كلها فى المجتمع العربي، من خلال المؤسسات الدينية . وللمؤسسات الدينية المختلفة ، تأثيرها الواسع النطاق فى المجتمع . وقادة رجال الدين يحرصون دائما أن يحاربوا وعي الطبقات المسحوقة ، وهم فى تكوينهم السياسي والاقتصادي متحالفون مع الطبقات الرجعية، وبالتالي فانهم يمارسون تأثيرا سلبيا .

ولقد كانوا دائما حلفاء للباشوات ، كانوا يحرضون ضد الاستعمار ، ولكنهم كانوا يؤيدون القيادات التي تتحالف معه ، أو ترتبط به . وليس معنى ذلك ان الدين لم يكن فى أية مرحلة من مراحل التاريخ، أو لا يمكن ان يكون الان عاملا من عوامل محاربة الامبريالية . ولكن لا يجوز أن نتكلم عن الدين نظريا ، ولا نتكلم عن رجال الدين ودورهم السياسي

عمليا · ان الدور الذي يلعبه قادة رجال الدين ، كبار رجال الدين ، كان دورا رجعيا فى الغالب، وكانوا يمارسون تأثيرا تمييعيا على حركة الصراع الطبقي · وكان رجال الدين هؤلاء يحاولون أن يقنعوا المؤمنين أن المسلمين أخوة: المستغِل والمستغَل أخوة ، التاجر والجائع أخوة · وفى نفس الوقت كانوا حتى فى النضال الوطني يذهبون مذاهب لا تشجع على ترسيخ الروح الوطنية ، كالتعبئة مثلا ان الاسلام ضد القومية · وهذا ما يطرحه رجال الدين حتى الان · فهم يقولون أن الاسلام ضد التعصب الوطني، لان التعصب الوطني لا يجعل العربي أخا للفارسي · لقد كان للدين تأثيره السلبي على حركة الصراع الطبقي فى المجتمع ، وما زال له مثل هذا التأثير ·

والذين يريدون أن يعملوا فى وطن كالوطن العربي، عليهم أن يدرسوا هذه الظاهرة · أن يدرسوا تأثير الدين فى الجماهير ، وتأثيره فى حركة الصراع السياسي ، والتأثيرات السلبية التي يحملها لحركة الصراع السياسي ·

ثالثا : هو تأثير البرجوازية العالمية على القوى السياسية فى أي وطن من الاوطان فى العالم الثالث · فالبرجوازية تملك وسائل متقدمة متخصصة ، منها اذاعات بعيدة المدى ، وصحف واسعة الانتشار ، وأدوات ترويج أفكار قوية وفعالة · وهي قادرة أن تثير التناقضات الثانوية فى أي قطر من الاقطار ، وقادرة أن تشوه الافكار ، وأن تبث سمومها فى المجتمعات ،

وذلك كله أثر فى مجالين :

أولهما : مجال الصراع القومي ضد القوى الخارجية، لان الرأسمالية العالمية ، كانت تؤيد دائما قادة وزعماء يعملون لمصلحتها · وكانت تعمل لكي يكون لهؤلاء القادة والزعماء جمهور ، ولديها من الامكانيات ما يجعلها قادرة على ذلك في كثير من الظروف·

وثانيهما : حركة الصراع الطبقي الداخلي ، لان البرجوازية التي مدت نفوذها الى كل أنحاء العالم خارج الدول الاشتراكية ، كانت قادرة على أن تربط المواطن العادي بالبرجوازية ، من خلال السيارة ، ومن خلال اثارة الطموح بأن أي انسان يستطيع أن يكون غنيا ، ومن خلال الملبس والموضة والافكار التي تبث بأشكال مختلفة · وأثر ذلك أيضا فى حركة الصراع الطبقي داخل المجتمع ·

وعلينا بعد هذا كله ، أن نتحدث عن مؤثر جديد فعال ، يكاد تأثيره يكون الأشد خطورة من بين هذه العوامل جميعا، وهو النفط · لقد خرج النفط من الارض ، وكان حتى سنة ١٩٦٥ لا يدر الا مبالغ محدودة على الدول المعنية · ولكن منذ سنة ١٩٦٥ ، وحتى الان ، حدثت قفزات هائلة فى مداخيل انتاج النفط ، أدت الى زيادة الثروات التي تملكها الطبقات الحاكمة فى الوطن العربي زيادة هائلة ، مما جعل الدخل العربي من النفط يوازي هذا العام حوالي ٧٠ ألف مليون دولار · وأصبح دخل بلد كالكويت يصل سنويا حوالي ثلاثة

آلاف مليون دينار كويتي ، أي حـــوالي عشرة الاف مليون دولار، فى الوقت الذي لا يصل فيه عدد سكان الكويت الاصليين ـ اذا جاز لنا التعبير ـ والوافدين ، عن مليون ونصف المليون نصفهم تقريبا من الكويتيين ·

هذه الثروة تصل الى كـــل كويتي ، والى كل المقيمين فى الكويت ، وان بنسب مختلفة جدا · ان كل كويتي بامكانه أن يستفيد من هذا الدخل · بامكانه أن يصبح تاجرا دون أن يملك رأس مال ، لان توقيعه عبـــارة عن رأس مال · واذا لم يكن يحسن التوقيع فان « بصمته » عبـارة عـن رأس مال ، وهو بمجرد أن يبصم على ورقة ،أو يشتري ختما يضعه فى جيبه، يستطيع أن يملك ٥١ بالمئة من رأس مال أية شركة، يكونها شخص غير كويتي أو مؤسسة غير كويتية · وبالتالي يستطيع أن يكون ثريا · ان ذلك يؤثر فى تـــوزيع الدخـل الوطني، ويؤثر فى تكوين اللائحة الطبقية الداخلية، ويميِّع حركة الصراع الطبقي داخليا ، ويجعل حتى معظم العمال جزءا من الطبقـة الحاكمة السائدة · ان هذا الفيض من النفط ، وبالتالي من الدولارات ، لم يترك تأثيره على الاقطـار المنتجـة فقط · فالاقطار المنتجة فى معظمها (اذا استثنينا العراق والجزائر) ليست أقطارا ، انها تضم مجموعات من البدو الرحل وشبـه البدو · وهؤلاء بحاجة الى اليد العاملة ، وبحاجة الى الخبرات الفنية ، وبحاجة الى المديرين، وبحاجة أيضا الى البصل والفول والحمص والخيار وغيره ، وبالتالي فقد أصبح هؤلاء الذين يملكون دولارات ، ولا يملكـون شيئـا ، مؤثـرين فى العمال

والفلاحين العرب ، وشرائح واسعة من البرجوازية الصغيرة في كل الاقطار العربية • لأن المهندس اذا كان في سوريا لا يجد عملا ، فهو الان مهندس مطلوب في هذه الاقطار بشكل ملح • والطالب الذي يحصل على شهادة الدكتوراه من كندا، ولا يجد عملا في أي مكان ، يستطيع أن يذهب الى الكويت عند تخرجه ليحصل على راتب يصل الى ألف دينار مع سيارةوبيت، أي حوالي ألف وخمسمائة دينار في الشهر ، وهو ابن فلاح فقير • ان ذلك كله أدى الى أن تستوعب هذه الاقطار أقساما هامة من اليد العاملة العربية، وتعطىمن المخصصاتوالرواتب ما يرضيها نسبيا • أدى هذا أن يذهب قسم من الخبرات الفنية الى هذه الاقطار ، ويحصل على امتيازات أكثر مما كان يحلم به • وأدى الى أن يسافر بعض التجار ورجال الخدمات، ويستفيدوا من خبراتهم وامكانياتهم في هذه الاقطار ، ويحصلوا على ثروات لا تفسدهم فقط ، بل تفسد أقاربهم وأهلهم في المناطق التي جاؤوا منها • اذا كان الوافد فلسطينيا فوجوده في الكويت مثلا يوفر له دخلا جيدا ، وبالتالي بيتا مريحا وسيارة ، ووفرا شهريا الخ•• واذا كان أهلهمحتاجين يذهب جوعهم ، نظرا للامدادات المالية ، ويتحسن وضعهم • لقد أدى ذلك الى نشوء قطاعات خدمات واسعة لخدمة هؤلاء النفطيين ، ولارضاء غرائزهم ، ولتوفير السلع التي يطلبونها •

أدى كل ذلك الى افساد قطاعات من العمال ، ومنالفلاحين،

ومن البرجوازيين الصغار الثوريين • ان دراسة هذه المؤثرات بشكل جدي ضرورية جدا لمعرفة أسباب خمود حركة الصراع، أو لنقل تضاؤل حركة الصراع خلال السنوات العشرة الاخيرة، سواء كان ذلك الصراع ضد الامبريالية بشكل مباشر، أو الصراع ضد القوى الرجعية بشكل غير مباشر • والحركة المتصاعدة التي شهدتها الخمسينات ، وأوائل الستينات ، لم نعد نشهدها اليوم فى الوطن العربي • ولذلك أسبابه ، ومن جملة هذه الاسباب السبب الذي تحدثنا عنه ، وهو تأثير السيولة النقدية الكبيرة التي انتشرت في المنطقة ، واستوعبت قوى عديدة منها ، وربطتها بشكل مباشر أو غير مباشر باقتصاديات الدول النفطية •

هذه ملاحظات عامة عن وضع الصراع الطبقي فى الوطن العربي ، لا ندعي انها جامعة مانعة وشاملة • وقد تساعدنا مناقشتها هنا ، على صياغتها بشكل أكثر دقة ، خصوصا اذا استطعنا أن نحصل على معلومات حقيقية عن توزيع الدخل فى الاقطار العربية • وهذا ما نحاول الحصول عليه • واذا ما استطعنا أن نكتب مثل هذه الدراسة ، وأن نوثقها بالمعلومات، فستكون دراسة جديدة ، لان الوطن العربي لا يعرف دراسات من هذا القبيل • وكل ما هنالك هو اشارات الى وضع الطبقة العاملة فى مصر ، ووضع البرجوازية فى لبنان أو فى البحرين، وليس هناك دراسة موسعة معمقة لوضع الطبقات والصراع الطبقي فى الوطن العربي كله • ولعل ما لم نستطع أن نوضحه خلال هذه الملاحظات ، يمكن أن يوضح ، وأن يتضح من خلال المناقشة ، وشكرا •

الأسئلة والأجوبة

س : تم الحديث بالامس عن الشرائح العليا من البرجوازيه الصغيرة ، وانها تلعب دورا هاما فى المنطقة العربية • أرى أن الانظمة البرجوازية الصغيرة هذه ، تمثل الشرائح العليا من البرجوازية الصغيرة ، وهي التي تلعب دورا كبيرا فى السلطة ، وبالتالي ، وبموجب تحليلاتنا السابقة ، كنا نتكلم أن الذي يلعب دورا رجعيا ودورا مرتبطا بالامبريالية انما هي عملية نشوء لشريحة كمبرادور من داخل الفئات البرجوازية الصغيرة ، وشريحة البرجوازية الصغيرة الموجودة فى السلطة تحالف الكمبرادور ، وهي مع كبار الملاكين وبقايا الاقطاع تلعب دورا رجعيا ، كنا نبتعد عن البرجوازية الصغيرة أو عن الشريحة العليا من البرجوازية الصغيرة ؟

ج : ليس الموضوع اننا تحدثنا في الماضي عن الشريحة العليا أو لم نتحدث • فنحن لم ندع ولم نزعم فى الماضي ، كما لا ندعي ولا نزعم الان اننا نقدم تحليلات جاهزة ونهائية ، نحن نمارس عملية حوار وصراع ايديولوجي بهدف الوصول الى تحليل متكامل • ولا ندعي اننا نملك تحليلا متكاملا ، ولا نريد أن ندعي ، من السهل الادعاء ولكن الاهم من الادعاء هو أن يكون تحليلنا تحليلا حقيقيا متكاملا • وهذا يحتاج الى

الكثير من الحوارات • ولذلك فنحن لا نقول أننـا فى الماضي قدمنا تحليلات دقيقة وكاملة عن كل الاوضاع العربية، فنحن حتى الان لم نقدم ، وما فعلناه بالامس ، وما نفعله اليوم هو مجرد نظرات وملاحظات عن الوضع العربي ، نحاول أن نهتدي منها الى تحليل صحيح متكامل •

يعني هذا ان ملاحظاتنـا نريـد أن نمتحنهـا ، اذا كانت صحيحة ، نريد أن نطرحها للنقاش، ليظهر ما فيها من ثغرات• ولا نقول انها آيات ونصوص مقدسة أوصلتنا الى نهاية العلم، لان هذا ضد المنهج الذي ندعو اليه •

فيما يتعلق بالشرائح العليـا من البرجوازيـة الصغيرة ودورها ، لا يجوز أن ننظر الى الشرائح العليا من البرجوازية الصغيرة أو الى البرجوازية الصغيرة كلهـا ، أو الى أية طبقة أخرى بمعزل عن الوضع الشامل فى المجتمع ، لان الذي يحدد موقفها من الصراع الخارجي ، أو من القضايا الداخلية ، هو وضعها فى الصراع الشامل ، وسأوضح ذلك •

عندما كانت البرجوازية الصغيرة بجميع شرائحها حتى الشرائح العليا منها ، تخضع لاستغلال واضطهاد مزدوج من السيطـرة الامبريالية الخارجية وسيطرة الاقطـاع ، وكبـار الملاكين العقاريين ، والبرجوازية التقليدية ، كان من مصلحتهـا أن تصارع كلها مع العمال والفلاحين لاسقاط الهيمنة المباشرة الخارجية ، والسلطة القمعية الداخليـة التي كـانت تقمع الجماهير ، وفى جملة الجماهير تقمع الشرائح المختلفـة من

البرجوازية الصغيرة • ولذلك أخذت البرجوازية الصغيرة في ذلك الحين وجها ثوريا وديمقراطيا كلهـا متحالفة مع العمال والفلاحين • ظهر هذا واضحا فى سوريا منـذ سنة ١٩٤٥ ، وظهر فى مصر بعد عام ١٩٤٥ ، وظهر فى العراق حيث كانت الشرائح المختلفة من البرجوازية الصغيرة والعمال والفلاحين تخوض صراعا لا هوادة فيه بأشكال الصراع القائم آنذاك ، لاسقاط الهيمنة الخارجية من جهة ، ولاسقاط حكـم كبـار الملاكين العقاريين والبرجوازية التقليدية من جهة أخرى• فى هذا الوقت لم تكن مشكلة البرجوازية الصغيرة ، شرائحها العليا أو شرائحها المتوسطة، انها مختلفة مع العمال والفلاحين• كانت مشكلتها الاساسية انها متصارعـة مع كبار الملاكيـن العقاريين ، ومع البرجوازيـة التقليديـة ، ومع الاستعمار الخارجي، وبالتالي أخذت وجها ديمقراطيا وثوريا ، فيمـا يتعلق بالعلاقة مع العمـال والفـلاحين ، ثـم استطاعت البرجوازية الصغيرة بهذا التحالف مع العمال والفلاحين أن تنهي أشكال الاستعمار أو الامبريـالية المبـاشرة كالسيطرة البريطانية على مصر ، والسيطرة الفرنسية على سوريا الخ• وأن تصل الى السلطة • عندمـا وصـلت الى السلطـة أرادت الشرائح العليا من البرجوازية الصغيـرة أن تستفـرد بها فتضرب حتى الشرائح المتوسطة والدنيـا من البرجوازيـة الصغيرة ، وتسحق حركة العمال والفلاحين وتشوهها ، لانها أصبحت حاكمة ، أصبحت فى السلطة • وهي عندما أصبحت فى

السلطة أصبحت ذات مصلحة فى أن تقيم علاقات مع السوق الامبريالية العالمية بطريقة جديدة · وبالتالي أخذت قرارات وقف الاستيراد ، ومنع السفر كما حدث فى سوريا سابقا ، ثم عندما أرادت أن تستفرد بالسلطة فتحت مجالات السفر ومجالات الاستيراد لان لها مصلحة فى ذلك ، وأصبحت الشريحة العليا من البرجوازية الصغيرة طامحة فى أن تقيم علاقات ودية وتحالفية وتنسيقية مع بقايا الرجعية المنهارة فى الداخل ، أي بقايا كبار الملاكين العقاريين ، وبقايا البرجوازيين التقليديين ، ومع الدول والانظمة الرجعية فى الخارج ، كالسعودية والنظام الاردني ··· وأخذ شكل علاقاتها شكل انفتاح فى الداخل على القوى الرجعية ، وانفتاح فى الخارج على القوى الامبريالية العالمية ، وعلى الانظمة الرجعية العربية · كانت السياسة فى الداخل تقوم على سحق كل القوى الثورية الديمقراطية من البرجوازية الصغيرة والعمال والفلاحين · وهذا هو الشكل الذي اتخذته السلطة فى مصر بعد عام ١٩٧١ · وهذا واضح وطبيعي ، لان هذه الشريحة التي أرادت أن تستفرد بالسلطة ، أرادت فى نفس الوقت أن تنهي تحالفها مع الشرائح الثورية والديمقراطية من البرجوازية الصغيرة ، ومع العمال والفلاحين ، لانها أنشأت تحالفا آخر مع القوى الرجعية فى الداخل ، مع بقايا الاقطاع وكبار الملاكين العقاريين والبرجوازية التقليدية ، ومع الانظمة الرجعية العربية فى الخارج ، ومع الدول والقوى الامبريالية فى الخارج أيضا · هل هذا غريب ؟ ليس غريبا ،

هذا طبيعي · هل نراهن على الانظمة البرجوازية الصغيرة؟ نحن لا نراهن عليها ، لان المراهنة عليها خطأ ، اذ أن لكل طبقة أو لكل شريحة من طبقة دورها · وهي عندما تنهي جزءا من مهماتها تتحول باتجاه أن تصبح قوة رجعية ، لانها تريد أن تمنع الطبقات والقوى الاخرى من أن تنمو وأن تتبلور ، وأن تحقق مهمتها وأن تأخذ دورها · اذن هي تصبح عقبة · كيف يمكن حل هذا الاشكال ، لا يحل هذا الاشكال الا بأن يتحقق فى مثل مرحلتنا تحالف حقيقي بين الشرائح الثورية والديمقراطية من البرجوازية الصغيرة والعمال والفلاحين الفقراء ضد الشرائح العليا التي أصبحت شرائح قمعية وكمبرادورية من طبيعة جديدة · ودون ذلك لا يمكن أن يحدث تطور ، ولا يمكن أن نحقق خطوات الى الامام· ستحاول الشرائح العليا من البرجوازية الصغيرة أن تمنع هذا التطور، وأن تقنن التطور بطريقتها الخاصة ، وأن تفرض أسلوبها الخاص عليه · وهذا ما يمكن أن يحدث التنمية المشوهة والعلاقات القمعية الداخلية · علينا أن نوجه النضال ضد استفراد هذه الشرائح بالسلطة ، لمصلحة تحالف ديمقراطي ثوري أوسع من العمال والفلاحين الفقراء والبرجوازية الصغيرة الثورية ، وهذا يوفر مرحلة متقدمة على الوضع الحالي ، على طريق التحول الحقيقي نحو الاشتراكية بقيادة الطبقة العاملة وحلفائها من الفلاحين الفقراء والبرجوازيين الصغار الثوريين ولا طريق غير هذا الطريق ·

سنشهد اذن صراعا ، وسيزداد هذا الصراع حدة من الان فصاعدا ، لان شرائح البرجوازية الصغيرة العليا لم تستنفد

دورها فقط ، انما هي استنفدت دورها ، وهي تلعب الان دورا رجعيا متزايدا فى محاولتها سحق الحركات الثورية والقوى الثورية فى المجتمع ، وهي تكرس جهدها الاساسي فى هذه الايام لبناء أجهزة القمع القادرة على عملية السحق هذه . هل معنى ذلك أنه لا يمكن أن يتم لقاء بيننا وبينها فى المراحل المقبلة ؟ نعم يمكن أن يتم لقاء أحيانا ، اذ عندما يشتد الهجوم الامبريالي على الوطن ، ويشتد الهجوم الامبريالي على هذه الشرائح لانتزاع المكاسب التي أخذتها ، تضطر أن تعود بطريقة أو بأخرى الى تحالفها مع العمال والفلاحين، أو تضطر الى أن تتخذ موقفا وطنيا معارضا للسيطرة الامبريالية، وان كان ليس وطنيا جذريا ، دعونا نسميه (وطنيا معارضا) . فى مثل هذه الحالة يمكن أن يتكرس النضال لمطالبتها بتقديم التنازلات على الجبهة الداخلية لمصلحة العمال والفلاحين الفقراء والشرائح الثورية من البرجوازية الصغيرة فى مجالات متعددة ، مجال الديمقراطية مثلا ، مجال التكوينات النقابية، مجال حرية الصحافة ، مجال اشراك القوى الاخرى فى عملية السلطة ، يعني فى زيادة الديمقراطية فى السلطة ، وان كانت هذه المطالب قد لا تنجح ، انما تكون موضوعات صراع ، نخوض الصراع عليها لنحشد جماهير أوسع من أجل تحالف اوسع بين العمال الفقراء والفلاحين والشرائح الثورية للبرجوازية الصغيرة . وبهذا يكون الموقف واضحا كما اعتقد من هذه الشرائح .

هذه الشرائح لا يمكن اعتبارها وطنية وثورية وديمقراطية بشكل مطلق ، هي قد تأخذ هـذا الاسم أو اللقـب فى مرحلة معينة ، ولكنها ما أن تتحول الى سلطة حتى تتحـول الى قـوة مستفردة ، وقوة قمعية ، وقوة ضد التطور الديمقراطي في المجتمع • هل يبقى لها دور اقتصادي ؟ نعم يبقى ، ولا ينتهي دورها الاقتصادي فجأة ، ستحاول الاستمـرار ، ستحاول أن تطور الزراعة والصناعـة ـ وليس مـن الضروري أن تنجح محاولاتها ـ وتطور المدن ، وتبني لنا مدنـا عصريـة ، تبني لنا مدارس لان هذا يحسن وجهها العام أمام الجماهير ، وهي تطرحه مقابل الديمقراطيـة التي تسلبهـا ، فهي تسلب الديمقراطية من الناس ، لكنهـا تبني مستشفيـات فخمة وجامعات ومدارس فخمة الخ•• وبالمقابـل تسلب الجماهير ديمقراطيتها • وهي فى الوقت عينه تحرص على تطوير المدن وتهمل الريف ، أو تقدم القليل من الخدمات للريف ، وتنقل أجزاء من البرجوازية الريفية الفقيرة الى المدن ، لتحولها الى برجوازية صغيرة مدنية ، أو الى شرائح برجوازية صغيـرة منتفعة ، وتساند السلطة • وبهذا نجد أن هناك مدنا نمـت خلال العشر سنوات الماضية نموا غير طبيعي ، ولكنها أصبحت مركزا للدفاع عن سلطة شرائـح معينـة من البرجوازيـة الصغيرة • وهذا واضح فى تطور المجتمع العربي ، ولا أدري ان بقيت هناك التباسات حول هذا الموضوع •

★ ★ ★

س : ما هي التأثيرات السلبية للامبريالية على الصعيد الثقافي ؟

ج : اذا اردنا ان نتحدث عن التأثيرات السلبية للامبريالية، فيجب ان نبدأ بالقول ان هذا الموضوع شديد التعقيد ، لان فيه كثيرا من العوامل المتداخلة · ومع ذلك فسأحاول ان اوضح الجوانب المختلفة له · يجب أن نتذكر ان الافكار التي نطرحها فى هذه الايام جاءتنا عن طريق مفكرين برجوازيين وقساوسة ارسلتهم الدول الاستعمارية فى بعثات تعليمية او تبشيرية لسوريا ولبنان وفلسطين والعراق ومصر ··· وكان نتيجة ذهاب بعض من ابناء البرجوازيين للدراسة فى الاستانة او باريس او لندن فى اواخر القرن الماضي او اوائل هذا القرن ، أو نتيجة الكتب التي ارسلوها لنا· وبالتالي فلقد استطاعت الامبريالية أن تدس ثقافتها فى اعماق وعينا ، منذ بدء نشأتنا السياسية والفكرية · اننا نتحدث كثيرا عن قضية النهضة العربية وعن بداية النهضة ، ومن المؤكد انكم تقرأون الكتب وتكتشفون ان الذين يتحدثون عن النهضة يقولون : وجاءت بعثة امريكية فأنشأت الكلية العلمية السورية فى لبنان سنة ١٨٥٧ وجاءت بعثة كذا·· الخ· هذا ما يطرح فى كتب التاريخ التي ندرسها· اننا نكتشف انهم منذ بداية وعينا حاولوا ان يكونوا هذا الوعي · هل اثروا فينا ؟ نعم ، لماذا ؟؟ لاننا جئنا من ارضية متخلفة سياسيا وحضاريا وثقافيا ، ومن مجتمع يسيطر عليه العثمانيون بعقليتهم المتخلفة وتسيطر عليه القيادات

والوجاهات والزعامات الدينية والسياسية الرجعية ·

وجئنا من وضع المهزوم وليس من وضع المنتصر ، واردنا ان نتعلم على ايدي اساتذة اكفاء · من كـان هؤلاء الاساتذة الاكفاء ؟ لقد كـانوا البرجـوازيين الرأسمـاليين · كانوا الفرنسيين والبريطانيين والامريكيين ···

هل هنالك اكثر تأثـيرا مـن عملية تكويـن الوعي ؟ فى الحقيقة ليس هناك مـا هـو اكثر تأثيرا مـن عملية تكوين الوعي ·

منذ بـدء العملـية السياسـية الجديدة فى وطننا كـانت الامبريالية تحاول أن تكوّن وعينا، وأن تكون بالتالي فكرنا، وخطنا السـياسي ونهجنا السـياسي واسلوب تعـاملنا · ولا نستطيع ان ندعي اننا كنا قادرين منذ ذلك الحين ان نتغلب على هذه العملية المعقدة · اذا اردنا النهضة فيجب ان نتبنى علوم الغرب · هذا ما يطرحه كل مفكر من رواد النهضة العربية الحديثة ، مـن رفاعـة الطهطاوي الى اديب اسـحق ، الى عبد الرحمن الكواكبي الى محمد كرد علي ، انهم جميعا يطرحون هذه النظرية ، نحن لا ننتصر الا بالعلم ، والعلم فى اوروبا ، وعلينا ان نأخذ العلم من اوروبا ، وان نأخذ الآلة من اوروبا وان نأخذ تنظيم مجتمعنا من اوروبا · اذن منذ بدء النهضة ، وهم يصنعون لنا فكرنا ووعينا ، ونحن لم نكـن مؤهلين لكي نقاوم هذا الفكر ، لاننا كنا نقاومـه بالثقافـة التقليديـة ، والثقافة التقليدية لم تكن جديرة بمقاومته ، ولم تكن قادرة

عليه ، وبالتالي انهزمت الثقافة التقليدية امام الفكر البرجوازي الاوروبي ٠

من كان يذهب ليتعلم منا ، سواء كان ذلك الى الاستانة او الى باريس أو الى لندن ؟ كانوا ابناء الطبقات الموسرة ، الذين لم يكونوا مهيئين أن يكونوا ثوريين واشتراكيين ٠ ان أديب اسحق مثلا عندما يتحدث عن كومونة باريس ، يسميها الفتنة العمياء ، هو لا يستطيع ان يراها غير ذلك ٠ ومع انه كان متعاطفا مع الثورة الفرنسية ، الا انه كان يقدمها بشكل مهذب وبشكل تسيطر عليه العقلية التقليدية العربية ٠ كان هنالك فكر عربي نعتبره نحن متطورا ومتقدما ، وكان هؤلاء الناس الذين يذهبون التلقي العلم الغربي مهيئين فقط لان يأخذوا الجوانب المتخلفة منه وليس الجوانب الثورية ، لانهم ابناء العائلات البرجوازية وشبه الاقطاعية وأبناء الملاكين الكبار٠ وحين تبنى هؤلاء الفكر البرجوازي ، تبنوه كتابعين ، وكافراد يحسون بأنهم ضعاف، ويشعرون أنهم مهزومون أمام الية فكرية وسياسية وعسكرية وتكنولوجية متقدمة٠ فمنذ البدء حاولت الامبريالية ان تشكل وعي قيادتنا السياسية ، واستطاعت ان تفعل ذلك ، ولذلك فان الذين يحاولون اليوم ان يفسروا لماذا لم تحدث ثورة برجوازية ، حتى بالمعنى الفكري فان عليهم أن يدرسوا هذا السبب ٠

فالثورة البرجوازية فى اوروبا اخذت شكل الصراع مع

الكنيسة ومع الاقطاع . وكان صراعا سياسيا واجتماعيا حادا ، نفي بسببه أو قتل أو سجن مفكرون وادباء كبار ، هاجروا من بلدانهم ، وعاشوا فى اقطار اخرى لانهم طرحوا قضايا سياسية واجتماعية خطيرة . ونحن لم نجد مفكرا عربيا واحدا يطرح قضايا اجتماعية خطيرة تؤدي الى الهجرة من وطنه ، منذ اول النهضة حتى اليوم . والكتاب الوحيد الذي اثيرت عليه ضجة كان كتاب طه حسين فى الشعر الجاهلي . ولقد اراد هذا الاعمى ان يدرس الشعر الجاهلي ، وحاول ان يكتشف هل هو شعر حقيقي او شعر مصنوع ، وقال : انه فى قناعتي شعر مصطنع ، وأثبت لماذا هو شعر مصطنع أي شعر لم يكتبه الشعراء الذين نسب اليهم مثل امرؤ القيس ولبيد بن ربيعة وعمر بن كلثوم بل كتبه اناس اخرون .

وقامت قيامة رجال الدين: كيف تجرأ هذا الاديب على طرح هذه القضية الادبية ، لان الذي يشكك بالشعر الجاهلي يشكك بالقرآن ، والذي يشكك بالقرآن زنديق ، وطرد من الجامعة وحوسب وعوقب ولم يجرؤ بعد ذلك ان يطرح قضية تتعلق بالفكر العربي ، او بالمجتمع العربي طرحا جديا ، وحتى الان لم تطرح قضايا الثورة البرجوازية فى المجتمع العربي طرحا جديا . قضية علاقة الانسان بالدين ، فى اوروبا طرحت على انها علاقة بين الفرد وخالقه ، وليس للمؤسسات الكنيسة حق فى ان تفرض وصاية . من يستطيع ان يطرح هذه القضية فى كتاب الان ؟ سوف لا يدخل هذا الكتاب أي بلد عربي ، وحتى فى لبنان فانه يصادر ، وهي قضية محسومة من القرن الثامن

عشر فى اوروبا • من يجرؤ ان يطرح قضية المرأة ؟ لا نريد ان نقول قضية المرأة بمعناها الاوروبي الحديث ، بل قضية القوانين الشخصية المتعلقة بالمرأة وتعديلها ، لا احد يجرؤ حتى الان ، وهناك كثير من القضايا لا اريد ان استفيض فيها ، والتي لم نطرحها بعد ، وهي من قضايا الثورة البرجوازية ، وحتى الذين يدعون انهم ماركسيون ، و « يسقطون » كل الطبقات ، ويعتبرون أنفسهم فوق البروليتاريا ويعتبرون أنهم سوف يحققون ثورة لم يحققها لينين ولا ماو ، لا يجرؤون على طرح مثل هذه القضايا ، حتى فى اجتماعاتهم الحزبية ، بله الاجتماعات العامة • لقد عملت الامبريالية على تكوين وعي قياداتنا منذ البدء ، وعملت من اجل مد سيطرتها الثقافية على مجتمعنا • وكانت مع تقدم جيوشها ، لا تمد السوق فقط ، بل تنشر المدرسة والكتاب وترسل البعثات لتدرسهم فى بلادها • اذن كانت هنالك عمليتان عملية مد السوق ، وعملية الامتداد الثقافي الموازي، ماذا تفعل هاتان العمليتان ؟ امتداد السوق يخلق طبقات وفئات مرتبطة مصلحيا بالسوق الامبريالية ، او بالدولة المعنية • فامتداد السوق يعني وجود الوكلاء ، ويعني خلق مصالح مشتركة ، ويعني خلق فئات لها مصلحة بالارتباط الاقتصادي• وبما أنالامبرياليةكانتفى مرحلة صعود، كانت صناعاتها فى مرحلة تطور ، وكانت قدرتها على انتاج السلع تزداد باستمرار ، فقد كان بامكانها ان تخلق فئات وطبقات

مرتبطة بها ، متزايدة الاتساع ، أصبحت فئات واسعة من المجتمع ·

ثم دخلت الامبريالية عن الطريق الثقافي ، والطريق الثقافي لا يعني الكتاب فقط ، انه يعني اللغة ، ويعني الموضة والعادة وما اشبه ذلك · واستطاعت ان تصل الى قطاعات واسعة فى المجتمع العربي بشكل مباشر او بشكل غير مباشر ، وربطت هذه القطاعات بالمجتمعات الامبريالية · هناك فئات فى لبنان تعتبر نفسها فرنسية ، وتتصرف على اساس انها فى فرنسة ، وتحب أن تقضي « الويك اند » فى فرنسا ، وتقرأ الصحف الفرنسية ، ولا تقرأ صحفا عربية· وفى الجزائر ايضا هناك قطاعات من هذا القبيل ، وفى المغرب ايضا · ولكن هذه القطاعات كانت تضيق او تتسع بمقدار ضيق السيطرة الامبريالية او اتساعها · الان الامبريالية تواصل عملية التأثير، وان كانت قد غيرت الاشكال القديمة· فى الماضي كان هناك ضرورة لجيوش استعمارية تقيم فى البلد الذي تحتله او تقيم قواعد عسكرية فيه ، الان الامبريالية تلجأ الى اساليب اخرى ، الربط الوثيق للسوق المحلي بالسوق الامبريالية · الربط الوثيق للسوق المحلي بالحياة الثقافية والحضارية الاجنبية ، مما يجعل البلد امتدادا للبلد الاخر · واذا سرت الان فى شوارع بيروت تلمس انك تمشي فى شوارع باريس ، وتحس ان الناس يفكرون فى آخر موضة ظهرت فى باريس، واخر كتاب أنتج فى باريس واخر مجلة انتجت في باريس· وحتى الذي لا يقرأ الفرنسية أصبح متأثرا الى درجة

انه يهتم بهذه الامور · وطبعا لما صارت القيادة للامبريالية الاميركية ، اصبحت واشنطن مصدر التأثير العام الشامل الذي حاول ان يقتلع حتى تأثيرات الامبريالية المتراجعة ·

لهذا التأثير اذن اشكاله المختلفة ، هناك شكله الاقتصادي ، وهناك اشكاله الثقافية والحضارية · والاهم من ذلك كله ان له اساليب متعددة جدا · الصحافة، الاذاعة ، مراكز التجسس، المعاهد ، الدراسات ، الجامعات · الجامعة الامريكية مثلا، ماذا تفعل ؟ انها من اول عصر النهضة لليوم تلعب دور تكوين النخبة الحاكمة والموجهة سياسيا واقتصاديا فى الوطن العربي ، ولا احد يهتم بدراسة هذه الظاهرة لانها اخرجت معظم الذين حكموا او الذين اداروا الاقتصاد خلال السنوات المائة السابقة ، لكن لا احد يهتم اين درس هؤلاء ، هذه قضية مهمة، وحتى فى العهود الجديدة ، لا في العهود القديمة فحسب · ان خلق نمط من التفكير لدينا يجعلنا نفكر دائما ضمن الدائرة الامبريالية ، نخطط ضمن الدائرة الامبريالية ، لا نستطيع ان نخرج عن اطار هذه الدائرة ، تماما كالذين يعيشون فى جو اسلامي ، ويفكرون ضمن اطار الاسلام ، ولا يستطيعون الخروج عليه ، الذين تثقفوا ثقافة اوروبية عندنا يفكرون ضمن دائرة السياسة والثقافة الاوروبية ، وحتى الان لم يستطيعوا أن يكوّنوا النقيض الواعي لها بشكل كامل · وهذا من الاسباب الاساسية التي جعلت حتى الفئات البرجوازية لا تستطيع ان تنجز ثورة برجوازية ، لا فى الاقتصاد فقط ، بل فى السياسة وفى الثقافة ايضا ·

الحقيقة اشعر ان هذا الموضوع بحاجة الى دراسة متكاملة، لانه من أهم القضايا التي نواجهها. فالسيطرة الامبريالية الان ليست شيئا عابرا فى حياتنا ، انها سيطرة حقيقة متعددة الاساليب عميقة الجذور ، تمتد الى جميع نواحي حياتنا التي نراها والتي لا نراها ، وتستحق ان نوليها اهتماما خاصا .

وفيما يتعلق بالتشويه الطبقي فانه يدخل ضمن هذا الاطار، لان الطبقات السائدة، تحاول دائما أن تقنع المضطهدين والمسحوقين ان جميع الناس متساوون نظريا ، وان القدرة الالهية قسمت الارزاق ، وانه لا يفوت انسانا ما قسم له ، وتقنعهم ايضا بانتهاج طريق القناعة والتقشف ، مع ان الغني طبعا لا يقبل بالقناعة وبالتقشف ، لكن الفقير مطلوب منه ان يقتنع بأن القناعة كنز لا يفنى ، والتقشف فضيلة . والفقير ماذا لديه غير التقشف ؟

ساهمت الاديان فى خلق مثل هذه القناعات ، ثم جاءت الامبريالية وحاولت ان تزرع فى النفوس ان فرصة الغنى متاحة لكل مجتهد ، ولكل من يحسن ان يكون غنيا ، وان الفرصة غير ممنوعة على احد ، او لا يحرم منها احد . لكن عليه ان يثبت انه جدير باستحقاق الغنى . وخلقت مثل هذا النزوع الفردي الذي يشعر الانسان فيه انه بجهده الخاص يستطيع أن يحل مشكلته الخاصة. ومن هنا، اذا انتشرت مثل هذه القناعة فى اوساط العمال مثلا او الفلاحين الفقراء ، فسيبحث كل انسان منهم عن حله الخاص . كيف يحل مشكلة

فقره ؟ كيف يتعلم ؟ كيف يعلم ابنه وحده ؟ كيف ينتقل من الفقر الى الغنى ؟ والرأسمالية تحاول دائما ان تقنعنا بان هذا هو الطريق ، لحل المشاكل الاجتماعية • تحاول ايضا الدوائر الامبريالية والقوى الرجعية المسيطرة ان تقنعنا ان الامور لا تحل بالصراع • وأن وعي الطبقات او تكوين الوعي الطبقي هو نوع من الشر الاجتماعي ، وان على الناس ان يتعاونوا ليحلوا قضاياهم • ولكن كيف يكون هذا التعاون ؟ يكون هذا التعاون بان يخضع الفقراء للاغنياء ، وان يلتمسوا منهم حل مشاكلهم ، ان هذه الاساليب التي تتبعها الامبريالية والقوى الرجعية الحاكمة فى كل زمان ومكان هي التي تدفع الى ظهور الدعوات التسووية • أي ظهور دعوات تساومية وتسووية لدى الطبقة العاملة ، ولدى الحركات الثورية ، فتطرح ان الامور لا تقتضي ان نستمر فى العنف الى منتهاه ويجب أن نتفاهم • والتفاهم يعني خضوع المضطهَدين للمضطهِدين ، واقرار المضطهَدين بشرعية حكم المضطهِدين ، ويعني ذلك أيضا تنازل المضطهِدين عن بعض الفتات للمضطهَدين • هذا هو جوهر فلسفة التسوية التي وجدنا انفسنا نعيش ضمن دوامتها وازمتها فى السنوات الاخيرة • وتبقى هنالك دائما قوى فى المجتمع ، مستعدة لان تقبل مبدأ المساومة ، لاسباب اعتقد اني تحدثت عنها فى الدراسة التي اسميتها التسوية ايديولوجيا ، هذه التأثيرات المتعددة الاشكال هي التي تخلق التشويه فى الوعي الطبقي • وطبعا هنالك اشكال اخرى مثل تحويل افراد من الطبقة العاملة الى دعاة

للسلام الطبقي ، او تحويل افراد من الطبقة العاملة الى فوضويين · وعندما تتحول مثلا فئات من الطبقة العاملة ، مثل حزب العمال البريطاني ، الى فئة داعية للسلام الاجتماعي والديمقراطية البرجوازية ، فهذا شكل من تشويه وعي الطبقة العاملة وافساد له · هناك ياسر عرفات الذي يقود المقاتلين وهو يسير باتجاه التسوية، هذا نوع من التشويه لمجرى الصراع ، كما ان تحويل افراد من الطبقة العاملة الى يائسين وارهابيين ، هو ايضا شكل من اشكال تشويه وعي الطبقة العاملة· هذه الاشكال تتبعها البرجوازية ، من أجل افساد وعي الطبقة العاملة ، ويمكن ان نكون بحاجة الى متابعة مثل هذه الظواهر لانها ظواهر عديدة ، شهد التاريخ منها شيئا كثيرا ، لا نستطيع حصره فى مثل هذا الحديث ·

★ ★ ★

س : هناك مجموعة قضايا بحاجة الى بحث وتوسع ، اولها ، حول الصراع الطبقي فى الوطن العربي فى مرحلة الدولة الاسلامية وما بعدها ، وكذلك حول نمو البرجوازية العربية ، واثر الاستعمار فيها ، وثانيها حول علاقة الصراع الطبقي بالتسوية من جهة والتجزئة من جهة اخرى · وثالثها ارى ان الحديث حول البرجوازية الصغيرة قد تركز على الشريحة العليا والدنيا منها دون ان يشمل الشريحة المتوسطة ، ما اسباب ذلك ؟

ج : اعتقد ان القسم الاول من السؤال يحتاج الى دراسة

متانية ومناقشات مستفيضة ، لان نشوء الطبقات فى المجتمع العربي ، والعودة الى نشوء المجتمع الاسلامي بعد الدعوة ، عملية فى منتهى التعقيد ، وليس لدينا المراجع التاريخية التي تدرسها بدقة، وان كان هنالك بعض المراجع التي تتحدث عنها بشكل او بآخر • الا ان المراجع التي تشير الى هذه القضية بشكل او بآخر ، تعترف كلها انها لم تستطع دراسة هذا الموضوع• وكتاب سمير أمين «الامة وصراع الطبقات» الذي كتبه باللغة الفرنسية احسن دليل على فشل الباحث العربي فى محاولة فهم تطور المجتمع العربي • وهناك عدد من الاشكالات التي لم يستطع ان يحلها الباحثون ، لانهم يدرسون مجتمعات قديمة بمصطلحات ومفاهيم حديثة • اننا ندرس القبائل العربية قبل الاسلام ، او مجتمع مأرب وسبأ بمصطلحات الماركسية الحديثة • وبعض منا يتمسك بشكليات هذه المصطلحات ويقول ، لم يكن هنالك طبقة عاملة ، لان نشوء الطبقة العاملة ينشأ مع الصناعة • ولم يكن هنالك صناعة لان الصناعة تقتضي وجود الالة • ومن ضمن هذا السياق يخرج مجتمع ليس سهلا أن نبحثه ، أو أن نحكم عليه ، لان المقياس الذي نضعه مقياس حديث ، ولاننا نتبنى مصطلحات كتبت فى عصر معين ، ونريد ان نحاكم العصور السابقة على اساسها حرفيا • بمثل هذا الاسلوب لا نستطيع ان نصل الى فهم المجتمع العربي وتكوينه الطبقي • اذا اردنا ان ندرسه ، فعلينا ان نفهمه اولا ، ان ندرسه بتمعن وباتساع ، ان نفهم كيف كان يتكون ، وان نفهم ما معنى الطبقة العاملة فى ذلك الحين • فقد كان هنالك عمال • وعندما يكون هنالك صناعة آلات ،

حتى لو كانت السيف او العربة الحربية ، فهنالك عمال · وعندما يكون هنالك صناعة اقمشة متطورة ، فهنالك عمال ، وان اختلفت طرق العمل · وعندما يكون هنالك بناء قصور فخمة وضخمة او سدود فهنالك مهندسون ، وهنالك هندسة ، وهنالك يد عاملة · هذه القضايا هل ندرسها ضمن مصطلحات جامدة؟ أو ندرسها ضمن فهم القوانين العلمية؟ هذا هو الهام · ومع الاسف فان الذين حاولوا ان يدرسوها ، فعلوا ذلك من منطلق فهم المصطلحات فهما جامدا وحرفيا · ولذلك لم يستطيعوا أن يدرسوها ·

هل نستطيع ان ندعي اننا درسناها بالتفصيل ؟ انا لا ادعي ذلك ، مع انني قرأت كثيرا من المراجع العربية الاساسية التي تتعلق بتكوين المجتمع العربي ، مثل الطبري وابن الاثير ، المسعودي ، ابن خلدون والكتب المتخصصة الاخرى ، كتب الحسبة وكتب الخراج وغيرها · ومع ذلك لا استطيع ان ادعي انني فهمتها جيدا حتى الان · هل نحن مطالبون ان نقدم اجابات ؟ نعم نحن مطالبون ان نقدم اجابات ، وندرس المجتمع العربي والصراع السياسي والاجتماعي فيه ، وان نعيد الصراع المذهبي الى جذوره الاجتماعية والطبقية ، مثل الصراع بين الشيعة والسنة ، ونامل ان نتمكن من ذلك ، ولكن الذي اردت أن أؤكد عليه هو ما يلي :

أولا : كان هنالك طبقات في المجتمع العربي · وليس بالضرورة أن يكون تكوين هذه المجتمعات كتكوين الطبقات في

أوروبا فى القرن التاسع عشر • كان هنالك عبيد ، كان هنالك عمال ، وكان هنالك تجار ، وكان هنالك طبقات متوسطة •• الخ• كان ذلك موجودا قبل الاسلام ، وكان بعده • ولقد اتضحت معالم التكوين الطبقي خلال العهدين الاموي والعباسي، الى درجة أن ثورات ذات طبيعة طبقية اجتماعية حدثت فى الوطن العربي على شكل واسع• ماذا نسمي ثورة «الزنج»؟ لم يكن صراعهم أنهم كانوا سودا وكان العرب بيضا ، كان جوهر الصراع أنهم كانوا عمال المزارع الحقيقيين فى جنوب العراق ، فى المناطق الزراعية ، وكانوا مضطهدين ، فقاموا بثورة ذات طبيعة طبقية اجتماعية ، واستطاعوا أن يهددوا الخلافة ، وأن يخوضوا معارك طيلة خمسة عشر عاما هزت أركان الخلافة • بماذا يمكن أن نسمي حركة القرامطة الذين أقاموا نظاما أصر على أن أسميه اشتراكيا ، وان رفض الاشتراكيون ذلك ، لانني لا أتقيد بالتفسيرات الحرفية • نظام ألغى الملكية الفردية ، فرض حق العمل للجميع ، فرض المساواة بين الرجل والمرأة ، فرض حق التعليم للجميع، أقام شكلا من القيادة الجماعية ، وفيها أعضاء أساسيون وأعضاء احتياط • قد نكون ، اذا تمسكنا بحرفيات النظرية الاشتراكية غير مستعدين أن نسميه نظاما اشتراكيا ، ولكنه فى الحقيقة نظام اشتراكي متقدم فى ذلك الزمان المتخلف • ماذا نسمي الحركات الاخرى التي تكلم عنها بندلي جوزي فى كتابه « من تاريخ الحركات الفكرية ، أو من تاريخ الحركات الاجتماعية فى الاسلام » • كل هذا بحاجة الى دراسة ، ودراسة مستفيضة•

كان اذن هنالك طبقات، وكان هنالك مضطهَدون ومضطهِدون، وكان هنالك صراع تبلور ونما مع اتساع نطاق الخلافة ، مع ازدياد التبادل التجاري بين أطراف الامبراطورية ، مع زيادة انتاج السلع فى الداخل ، لانه عندما يكون هناك امبراطورية وقصور وجيوش محاربة بمئات الالاف ، فمعنى ذلك ان الانتاج سيتطور فى مختلف المجالات • هل فهمنا هذا المجتمع بدقة حتى الان ؟ الحقيقة لا ، لان هناك كثيرا من التفاصيل التي لم يدرسها الباحثون ، ولان هناك كثيرا من المخطوطات التي لم تطبع ولم توزع ، وهي موجودة فى دور العلم المختلفة وتساعد فى فهم تكوين المجتمع ، وتكوين الطبقات • ان مثل هذه المخطوطات يتناول الزراعة والتجارة أيضا • وهي ليست منشورة ، ولم يدرسها أو لم يدرس كثيرا منها أي باحث حتى الان • هذا موضوع يجب أن يكون موضوع أبحاث لكثير من مجموعات البحث خلال السنوات العشر أو العشرين القادمة•

والآن لم يكن ممكنا ان نتكلم عن بداية نمو طبقة برجوازية فى المجتمع العربي فى القرن التاسع عشر، وعن علاقة ذلك بالصراع فى داخل الامبراطورية العثمانية ، والصراع بين الامبراطورية العثمانية وبين الدول الاوروبية التي كانت تحاول أن تقتسم تركة الرجل المريض • كيف حدث التحول من محاولة البرجوازية العربية أو نويات البرجوازية العربية ، ان تصل الى تفاهم مع البرجوازيين الاتراك لقيام سلطة حديثة فى الامبراطورية العثمانية ، الى تفاهم مع البرجوازيين الاوروبيين • ولماذا حدث هذا الانفصال وما

اساسه الاقتصادي ؟· لم نتحدث عن ذلك لان اي حديث حوله يحتاج الى كثير من التفصيل · ولكن نستطيع ان نقول ان حركة نمو الطبقات فى المجتمع العربي حدثت ضمن اطار الصراع فى داخل الامبراطورية العثمانية كلها ، وبين الامبراطورية العثمانية والبرجوازيات الاوروبية الصاعدة بشكل عام · ولم يحدث ضمن اطار عربي فقط ، أي لم يحدث ضمن اطار مجتمع عربي منغلق على نفسه · وضمن هذا الاطار كانت الفئات شبه الاقطاعية او الملاكين العقاريين الكبار ، بما يملكون من امكانيات اجتماعية ، هم اول الذين اتصلت بهم البعثات التجارية الخارجية، وأول الذين شكلوا بداية لوجود طبقة برجوازية كمبرادورية حديثة · من هؤلاء خرج اوائل الناس الذين شكلوا البرجوازية التجارية ، لانه عندما كان القنصل الاجنبي يحل فى بلد ، كان الكاهن او الشيخ يعرفه على الوجهاء ، والوجهاء كانوا فى العادة من كبار الملاكين العقاريين ، ولم يكونوا من طبقة اخرى ، وكان هذا الوجيه هو الذي يحظى بثقة القنصل ، ممثل الشركات التجارية ، فيصبح وكيلا للشركات المصدرة · وضمن هذا الاطار نشأت الطبقات البرجوازية التقليدية ، ثم جاء بعد ذلك الاحتلال الاجنبي ، فنمت تحت سيطرته المباشرة ، ولكن هذه الطبقة لم تنم قطاعا صناعيا ، بل نمت بعض الصناعات الضرورية مثل صناعة البسكوت فى بيروت ، بعض صناعات السجاير، صناعة الثلج من أجل أن يشرب البرجوازيون ماءا باردا · هذه هي الصناعات التي نميت · وضربت فى الوقت

نفسه صناعة الحرير الطبيعي التي كانت صناعة شعبية متطورة فى بلد مثل لبنان ، وفى بلد مثل سوريا ، لان استمرار الحرير الطبيعي ، يعني عدم استيراد الحرير الصناعي الفرنسي ، فتم ضرب الصناعة التي كان يعيش منها مئات الآلاف من الناس ، وهي صناعة الحرير ، تربية التوت ودود القز ، وما اشبه ذلك ، لان السوق يجب ان تستوعب صناعة الحرير الصناعي ، واخذت البرجوازية هذا الشكل ، شكل التبعية الكاملة الاقتصادية والسياسية للمستعمر الاجنبي ، وللبرجوازية الاجنبية ، ولم تنم الصناعة الثقيلة ، أو أي شكل حتى من الصناعات المتوسطة ، المستقلة عن الخارج ٠

ثانيا : هل صحيح اننا لا نستطيع النظر الى الصراع الطبقي دون النظر الى التسوية والتجزئة ؟ نعم ، لان الصراع الطبقي يتأثر بعدد من العوامل ٠ ما هي التسوية ؟ وما هي التجزئة ؟

التسوية : هي نوع من السيطرة الطبقية وسيطرة العقلية الطبقية ٠ يعني التسوية ليست خطوة سياسية معزولة عن جذورها الطبقية للفئات التي تقبل التسوية ، عندما تكون من الطبقة العاملة ، او تكون حتى من البرجوازية الصغيرة ، وتكون التسوية تمس الوطن ، فهذا موقف ايديولوجي ، وليس فقط موقفا سياسيا عابرا ٠ التسوية تعبر عن موقف ايديولوجي ، وبالتالي لا يجوز النظر الى موضوع الصراع الطبقي دون ان ننظر الى التسوية ، وانتشار افكار التسوية الان فى الحركات الفلسطينية ، وفى المجتمع العربي كله ، فى

الحركات السياسية العربية كلها ، يعكس واقعا استسلاميا ايديولوجيا • هذه قضية هامة ، ونحن الان نواجه وضعا صعبا ، لان معظم الفئات التي كانت وطنية متطرفة ، او كانت تسمي نفسها « ماركسية جذرية » تحركها وتسيطر عليها عقلية التسوية • وهي بالتالي تخون الطبقات التي تمثلها •

اما بالنسبة لموضوع التجزئة فموضوع التجزئة له علاقة بشيئين اساسيين :

بقاء التخلف والانظمة الرجعية من جهة ، وبقاء عدم القدرة على تطوير الصناعة الثقيلة من جهة اخرى • ولو لم يظهر النفط الذي مكن الجزائر مثلا ، او العراق ، ان يبني مصنعا للحديد والصلب ، ومصانع للبتروكيماويات ، لانه امتلك ثروة من البترودولار ، تخوله أن يشتري التكنولوجيا اللازمة ، لما استطاع بلد عربي واحد ان ينشىء صناعة ثقيلة واحدة ، لان السوق الصغيرة، حتى السوق الزراعية الصغيرة، لا تستطيع ان تنتج فائضا من المال ، فائض قيمة يخولها ان تصرف مائة مليون دولار او ٢٠٠ مليون دولار لشراء مصنع• وبالتالي فكون هذا الوطن مجزأ ، الى اسواق صغيرة ، يجزىء النشاط الاقتصادي ، ويجزىء القدرة على بناء الصناعة الثقيلة ، وبالتالي يجعل نمو حركة الطبقة العاملة محدودا • ومن هذا المنطلق لا يجوز ان ننظر الى عملية الصراع الطبقي فى الوطن العربي ، ولا ننظر الى قضية التجزئة • لان التجزئة وضعت لمنع الصراع القومي والطبقي الواسع النطاق

ولحصره • وعندما كان الجيش الفرنسي الاستعماري فى الجزائر ماذا فعل فيها ؟ قسمها الى مربعات « ومشطها » مربعا مربعا • وفيتنام ماذا كان يفعل الاميركيين بها ؟ كانوا يقسمونها الى مربعات ويمشطونها مربعا ، مربعا ، لتطهيرها من الثوار •

الوطن العربي مقسم الى مربعات ومثلثات لسحق القوى الوطنية والثورية ، ولابقائها ضمن اطاره كالقرى الاستراتيجية التي تقيمها الجيوش الغازية للحد من حركة السكان • ان التجزئة حدود استراتيجية ، وضعها المخطط الامبريالي لمنع النمو الطبيعي للوطن العربي ، ولمنع تحقيق استقلاله الاقتصادي والسياسي • فلا يجوز اذن ان ننظر الى الصراع الطبقي فى الوطن العربي دون ان ننظر الى قضية التجزئة •

ثالثا : كان هنالك تركيز على الشريحة العليا والدنيا ، ولم يكن هنالك تركيز على الشريحة المتوسطة من البرجوازية الصغيرة ؟ نعم لان الشريحة العليا ، هي التي تلعب دورا اساسيا الان فى معظم الاقطار العربية التي استولت فيها البرجوازية الصغيرة على السلطة ، ولان الشريحة الدنيا هي التي نتأمل ان يخرج منها ثوريون • وقد ركزت على طرح قضية هاتين الشريحتين ، لان هناك شريحة يجب ان نسقطها ، وشريحة لنا امل كبير فيها •

اما الشريحة المتوسطة فدورها الان ضعيف ومتذبذب •

دورها ضعيف فى مقاومة الشريحة العليا المسيطرة ، وضعيف فى الامل ان تكون جزءا من الطبقة الثورية · ولذلك تحدثت عن دورها المتذبذب الضعيف ، ولم اتحدث طويلا عنها ، لانها ستكون فى حساب الصراعات ذات دور ضئيل · لان هذا هو وضعها السياسي ، وليس لانني لا اريدها ان تلعب دورا · هذا فقط تفسيري لعدم حديثي الطويل عنها ، ثم ان الحديث بالامس كان طويلا ، لانه تناول قضايا متعددة ، وكان اليوم طويلا لانه تناول قضايا متعددة · ان هذه القضايا التي نبحثها فى ساعتين او ثلاث من الزمان تحتاج الى ساعات طويلة من البحث ، لان كل قضية منها تحتاج الى بحث · ولا ادعي انني اوفيتها حقها بمثل هذه الاستفاضة ·

★ ★ ★

س : عند الحديث عن ملامح الخريطة الطبقية لم يتطرق الرفيق المحاضر الى قضيتين :

الاولى : البدو الذين يشكلون قطاعا واسعا من المواطنين العرب ··· وهؤلاء قسمان :

أ) قسم متنقل يعيش على الكلأ ويرحل طلبا للعشب والماء·

ب) قسم آخر مستقر نسبيا بشكل عام ، يتميز بالتقوقع ، وبأنه فى واد والقطاعات الاخرى فى واد آخر · اضافة الى ذلك ، فان الوحدة الاجتماعية التي هي القبيلة فى البادية تعتبر مركز حياة اجتماعية او التركيبة الاجتماعية البدوية· اضافة الى ذلك فان التركيبة الاقتصادية فى البادية بشكل

اساسي تعتمد على الرعي والماشـية والفلاحـة ، ولكي يلعب هؤلاء دورا فى الثورة العربية ، ولكي ينمو الوعي بينهم ، لا بد من العمل على استقرارهم • اسـتقرار البدوي يحتاج طبعا الى جهود كبيرة جـدا مـن قـوى الثورة العربـية للعمل على استقرارهم ضمن الاطر التي لا تخدم قضايا التخلف والاستغلال الطبقي ، اذ نلاحـظ ان هناك اتجاها بـين الانظمة الرجعية لحصر اهتمامات البدو فى القضايا المطلبية ، وفى اجهزة معينة من الدولـة كالاجهزة العسكريـة والاجهزة الامنـية • اذن مطلوب من قوى الثورة فى هـذه الحـالة أن تعمـل ، ولكي تنجح يجب على الثورة تفهم خصوصيات البداوة لـدى هـذا القطاع الكبير من الشعب العربي ، هذه الخصوصيات مثلا ، قضية الارتباط بالمصير القبلي والولاء الاعمى البدوي لزعيم القبيلة او زعيم العشائر التي تتكون منها هـذه القبيلة • اذ لا مناص من استيعاب هذه الظاهرة • كيف ؟

كانت القـوى المضـادة للثورة ترشي هـؤلاء الزعمـاء ، فتستميل وتستقطب اتباعهم من ابناء القبائل ، لا بد من فعل مضاد على هذا الصعيد ، لا بد من العمل على استمالة اعداد معينة من هؤلاء الزعماء ، ضمن خصوصيات الوضع الجديد، لكسب هؤلاء الزعماء ، والتركيز على امكانية ان يكونوا جزءا من قوى الثورة • اضافـة الى ذلك هناك مسألـة الضغط على وتيرة المشاعر القومية لدى البدوي ايضا ، يمكن استثمارها فى اتجاه تعميق التناقض بين نفسية وذهنية البدوي العربي وبين قوى الاستغلال ، سواء كانت اجنبية او محلية • اعتقد

ان القطاع البدوي يمكن ان يلعب دورا فى هذا الاتجاه ، ان حسنت قوى الثورة اساليب العمل تجاههم ٠

الثانية : تحدث الرفيق المحـــاضر بالامس عن الطبقــة العاملة ٠

هنالك الحمالون وهنالك الفئات العاملة فى قطاعات الانتاج المختلفة ، ايــن يمكن ان نصنف هــذه الفئة ؟ هــل يمكن ان يكونوا اقرب الى البروليتاريا منهم الى البرجوازية ، نظرا لان قسما كبيرا منهم يمتلك صفاتا قريبة من صفات البرجوازية الصغيرة ، فاولا هو متذبذب وثانيا نتيجة لانه محروم وغير مستقر ، فيمكن ان يلعب دورا فى جانب قوى الثورة ، ويمكن ان يلعب دورا مضادا فى جانب القوى المضادة للثورة ٠ هــــذا كتعقيب على موضوع الشرائح الطبقية ٠ لدي موضوع آخر يخص قضــية البرجوازيــة ٠ بالامس وامس الاول تحــدث الرفيق المحاضر عن دور البرجوازية التقليدية والذي فهمته انا ، ان لا مكــان او لا ثورة برجوازيــة فى الوطــن العربي ، الحقيقة من المعروف ان لينين تحدث عــن هــذه المسألة ضمن واقع معين ، واستند الى شرح بالتفصيل وقال : ان الماركسية تعلمنا ان مجتمعا يقوم على الانتاج البضاعي ، وان مجتمعا يتبادل مع الامم الرأسمــالية ، لا بد فى مرحــلة معينــة مــن تطوره ، ان يسير فى طريق الرأسمالية ٠ هذه المقولة العامــة التي تمثل قانونا عاما مــن قوانين الماركســية ، استشهد بها لينين فى كتاباته حول « خطتا الاشــتراكية الديمقراطــية فى الثورة الديمقراطية » ليدلل ان الثورة البرجوازية هي التي

تعكس حاجات تطور الرأسمالية، ان مجتمعنا الذي يقوم على الانتاج البضاعي والتبادل مع السوق الرأسمالي لا بد أن يسير فى مرحلة معينة فى طريق الرأسمالية ٠

س : الرفيق المحاضر تحدث عن البرجوازية الصغيرة انها متذبذبة ٠ وايضا كان واضحا ان هذه البرجوازية المتذبذبة وقصد بها الشرائح العليا من البرجوازية الصغيرة ، لعبت فى بعض الاقطار العربية وفى اقطار اساسية فى الوطن العربي لعبت دورا انتقلت منه الى دور البرجوازية التقليدية ٠

فى مصر اصبح الكومبرادور خائنا ومرتبطا بالامبريالية ارتباطا مباشرا ، فى سوريا مثلا اصبحت رديفا للاقطاع ٠ اذا كانت قد حافظت على سلطتها وانتزعتها منه ، وفرضت عليه ان يبقى بعيدا عن السلطة السياسية ، فقد قدمت له حرية التنقل وحرية الاستيراد والتصدير الخ ، وهذا ما خلق فى ذهني التباسا معينا ، فاصبحت قضية الثورة البرجوازية فى الوطن العربي غير مفهومة ٠ كان لينين يتحدث عن الواقع الروسي فى معرض رده على الايسكريين الجدد (١) ، وفى مؤتمرهم فى جنيف ٠ كان ماركس قد تحدث بشكل عام، وتحدث عن واقع مستمر قائم على اساس التجزئة والتبادل مع الامم الرأسمالية ٠ أنا اعترف بأن هذه القضية أي الثورة

---

(١) الايسكريون الجدد، هم انصار التيار الانتهازي (المنشفي) الذين أصدروا جريدة الايسكرا (الشرارة) من ١٩٠٣ الى ١٩٠٥ ٠ وكان لينين قد اسس هذه الجريدة في ١٩٠٠ واستمر يصدرها حتى ١٩٠٣ ٠

البرجوازية غير محسومة فى ذهني ·

ج : اولا : صحيح بانني لم اتحدث بالامس ، عندما تحدثت عن الشرائح الطبقية ، عن البدو · وأود الان ان اوضح وجهة نظري فيما يتعلق بالبدو · البدو فى المجتمع العربي يشكلون نسبة من السكان ليس متفقا عليها حتى الآن بين كل الباحثين · بعضهم يرفعها الى عشرة ملايين ، نصفهم فى المشرق العربي تقريبا ونصفهم فى المغرب · وبعضهم ينخفض بها الى خمسة ملايين · السبب فى ذلك انه ليس هنالك احصاءات دقيقة للبادية ، ولان البدو انفسهم يرفضون المشاركة فى الاحصاءات · واذا ما اشتركوا فيها ، او اشترك فيها زعماؤهم ورؤساؤهم فى معظم الاحيان ، يعطون ارقاما تخدم مصالحهم · اذا اعتقدوا ان وراء الاحصاء ضريبة يمكن ان يقللوا العدد ، واذا اعتقدوا ان الهدف من الاحصاء اظهار القوة فيمكن ان يزيدوا العدد · وبالتالي لا يمكن الاعتماد على الاحصائيات ، انما نستطيع ان نقول ان البدو يشكلون نسبة من سكان هذا الوطن ونسبة ليست بسيطة · ولو كان العدد خمسة ملايين او عشرة ملايين فهي نسبة تستحق الاهتمام ·

ثانيا : يخضع البدو فى مجتمعنا اليوم لكثير من الشروط التي يخضع لها المجتمع · ولم يعودوا متقوقعين كما كانوا فى الماضي ، لانهم فى الماضي كانوا يعيشون فى الصحاري لا يصلهم احد ، ولا يصلون الى احد ، الا عندما تفرض عليهم الضرورات ·

اما الان ففي الصحاري لديهم راديوات ، وشيوخهم لديهم تلفزيونات وهم على اتصال بالمدن ، ولديهم سيارات بدلا من الجمال ، وبالتالي يمكنهم ان يتصلوا وقت يشاؤون · وهـذا يدخل تغييرا على بنيتهم الفوقـية والتحتية ، اي فى مجـال الحياة الاقتصادية والحياة الثقافية ·

ثالثا : ان الاسـتعمار البريطـاني والفرنسي ، وبعدهما الانظمة والقوى الرجعـية ، ارادت ان تسـتفيد مـن ظاهرة البادية فى مجـالات متعـددة ، فعملت على تعزيـز المؤسسة البدوية ، اما عـن طريق رشـوة زعماء العشـائر بانتظام ، وتخصيص مساعدات مادية لهم ، وهذا واضح مـن التقارير السرية للاستعمار البريطاني مثلا فى العراق ، او مـن خلال اقطاعهم اراضي واسعة كانوا يستخدمونها عن طريق وضـع اليد ، وزعماء البدو الان ، هـم زعماء بـدو ، ولكنهم مـن الملاكـين العقـاريين الكبـار يملكـون اراضي ويملكـون تراكتورات ويعمل فلاحون على اراضيهم ، وهذا ايضا يدخل فى بنية المجتمع البدوي · زعيم العشيرة هو ليس زعيم عشيرة فقط الان · هو زعيم عشيرة ، وهو مرتبط بجهاز مخابرات يدفع له مبالغ كبيرة، وهو فى نفس الوقت يملك أراضي واسعة يستثمرها لحسابه الخاص ·

رابعا : هناك قضية يجب الاهتمام بها ، وهي تؤثر كثيرا الان فى بنية المجتمع البدوي · ان البدو الذين كانوا يعيشون على الرعي ، وتربية الماشية لم يعودوا يعيشـون على الرعي

وتربية الماشية كليا ، فى هذه الايام ، واصبحت هـذه وظيفة جزئية لهم تماما ، كما ان كثيرا من الفلاحين فى قرى لبـنان لا يعيشون من الزراعة ، بل من دخل ابنائهم الذين يعملون فى الكويت او السعودية او فى المهاجر • هذه القضية هي ان البدو اصبحوا قسما اساسيا من الجيوش فى معظم البلاد العربـية ، فاذا ذهبنا الى المغرب ـ مراكش وجدنا ان البدو جزء اساسي من الجيش ، وربما كانت نسبتهم ايضا عالية ، ولو جئنا الى السعوديـة فالبدو جـزء اساسي مـن الجيش ، او هم الجزء الاساسي، ولو جئنا الى الاردن ، فالبدو هم جـزء أسـاسي ، ولو ذهبنا الى الكويت فالبدو قسم اساسي من الجيش ، ولـو ذهبنا الى سوريا ففي الجيش السوري قسم من البدو ، واصبح هؤلاء البدو يتحولون الى اجـراء مرتبطين باجهزة معينة هي اجهزة الجيش •

خامسا : ان ارتبـاط زعمائهم بـانظمة معينة وبـاجهزة مخابرات معينـة وحصولهم على مبالـغ كبيرة مـن النقود ، وامتلاكهم اراضي واسعة ، جعلهم قادرين ، على ان يستثمروا قسما من البدو بشكل منتظم وان يحولوهم الى اجراء لديهم ، وان يحولوا بالتالي من طبيعة العلاقة العشائرية التي تربط بين عضو العشيرة وبين زعيم العشيرة • كل هذه العوامـل ادت الى نوع من الخلخلة العميقة فى بنية المجتمع البدوي ، على الرغم من انها لن تنهي هذه العلاقات البدوية •

كيف ننظر الى هؤلاء البدو طبقيا ؟ هؤلاء يتكونون مـن

ثلاث شرائح :

الشريحة الاولى : هي شريحة الزعماء والقادة وعائلاتهم ، وهي شريحة كبيرة من حيث العدد ، وهؤلاء يجب ان يعاملوا معاملة الاقطاعيين وشبه الاقطاعيين لان طبيعة نظرتهم وعلاقتهم الى مجتمعهم هي نظرة شبه اقطاعية ، ولان معظمهم، كما ذكرت ، يملكون اراضي واسعة ومواشي باعداد كبيرة ، ولانهم يستخدمون ابناء عشيرتهم فى عمل منتظم ، وليس ضمن علاقة قبلية ، كما كان الوضع فى سابق الزمان ·

الشريحة الثانية : الشريحة المتوسطة ، وتقوم بعمليات تجارة محدودة ، وبامتلاك اراض بشكل محدود ··· الخ · وهذه الشريحة ينطبق عليها ما ينطبق على الفلاحين الموسرين ، فقد يكون موقفها وطنيا بشكل عام ، ولكنها ضد التغييرات الاجتماعية بشكل مطلق ، وحتى مواقفها الوطنية متذبذبة ، وهي على استعداد لان تدخل فى مساومات ، شأنها شأن الفلاحين الموسرين ، مع أي قوة طاغية حاكمة داخلية أو خارجية ·

الشريحة الثالثة : فقراء البدو وهم الاكثرية ، ولكن تخلف وعيهم الاجتماعي والسياسي يجعلهم ادوات سهلة لاية قوة تقودهم ، ولكن هل يعني ذلك ان العمل مستحيل معهم ؟ ان القرامطة فى ذلك الزمان البعيد استطاعوا ان يجندوا فقراء البدو ، ويجعلوا منهم قوة ثورية هائلة ، تجتاح عواصم ذلك الزمان· وكان من النقد الاساسي الذي يوجهه اليهم مؤرخو ذلك الزمان ، من المدافعين عن الانظمة ، انهم سقط بني كلب

وبني العليص، وبني كـلاب ... الخ. اذاً كـانوا فى ذلـك الزمان قادرين على تعبئتهم وتجنيدهم ، ووسائـل تجنيدهم متعددة. ان كسب زعيم من زعمائهم يشكل فى بعض الاحيان طريقا الى كسب جماهيرهم ، وفى مكان آخر قد يكون الصدام مع زعيمهم وسيلة لتعبئتهم . فى فيتنام مثـلا ، كانت هنالك قبائل حدودية شرسة ، تعمل فى التهريب والتجسس . وكان زعيمها مـن كبار الزعماء القبليين ، وقـد اشـتغلت الثورة الفيتنامية على كسب هذا الزعيم بعد ان حـاولت ان تكسب القاعدة بمختلف الوسائل فلم تنجح ، فكسبته ، وتحولت هذه القبائل التي تعمل فى التهريب وفى التجسس الى قبائل مقاتلة ، وتحول هـذا الزعـيم الى جنرال كبـير فى الجيش الشـعبي الفيتنامي . الفيتناميون يضربون بـه مثلا على نجاح العمل السياسي فى تحويل قوى معادية الى قـوى مقاتلة . لكن هـذا ليس هو القاعدة . وقد يكون هـذا استثناء . القاعـدة هي كسب قواعدهم ، قواعد البدو وتنظيمها وتعبئتها ، بالوسائل التي يمكن ان تفهمها ، ويمكن ان تؤثر فيها .

وفيما يتعلق بمشكلـة اسـتقرار البدو ، ان لي رأيـا فى النظرية المطروحة . اعتقد ان الطرح الـذي تناول مشكلـة البدو فى الماضي كان طرحـا برجوازيـا مثاليا ، وكان بعض الزعماء العرب البرجوازيين ، يخجلون لان لـديهم بـدوا . فلذلك كانـوا يريـدون ان يوطنوهم ويحولوهم الى مدنيين ، وذلك لتلافي ان يقال عنهم فى الغرب ان فى العراق مثلا بدوا . وان فى سوريا باديـة ... الخ . وبالتالي فقد ادى ذلـك الى

انخفاض تربية الماشية ، والى عـدم الاستفادة مـن الصحراء الاستفادة التي يجب أن تستفاد ، وبتنا نستورد اللحوم مـن الخارج • البادية مصدر لثروات متعددة فيها النفط ، وفيها معادن اخرى • وفى جـوفها هنالك مياه غزيرة ، وفيها اراض صالحة للزراعة ، وهذا كله يجب ان يؤخذ بعين الاعتبار عندما نطرح قضية البادية • وأول ما يجب أن يؤخذ بالاعتبار ان هذه المناطق يجب ان تبقى مسكونة كباديـة ، وان البدو الذيـن يعيشون فيها يجب ان يظلوا فيها ، لتبقى معمورة ، ويجب ان يهتموا بتربية الماشية ليحلوا المشاكـل المتراكمة فيما يتعلق بتربية الماشية • لان افضل طريقة لتربية المواشي عندنـا فى البلاد العربية هي الصحراء هذه الصحراء الواسعة التي فيها من الكلأ ما يكفل أن ينمي قطعانا بالملايين، دون أن نخسر شيئا من الاراضي الزراعية ، ودون ان نبذل كثيرا من الجهد لكي نستورد علفا ، ونسـتورد مكائـن تبنيها شركـات اجنبية • تحتاج البادية الى اهتمام بحيث يكون فى داخلها مراكز مدنية ، أي مستشفيات ومدارس ومراكز للعناية بالمواشي ••• الخ • وعـلى أن لا يعنـي الاستقـرار بالمعنـى اللفظي ، لأن البـدوي يتنقـل بحثـا عن العشب والمـاء في مـواسم السنة المختلفة • وهذا هـو الذي يمكنه بطريقة اقتصاديـة لا تكلف شيئا ان ينمي الماشية ، لانه ان لم يلحق الكلأ والمـاء ، فمعناه ان تجلب له ماء « بالستيرنات » وان تجلب له علفا • وهذا مـا يجعل العملية مكلفة • فليكن لـه مراكز مستقرة ، ولكن لماذا لا يتنقل الفرد او الافـراد بطريقة منظمة ، وعلى

اسس مدروسة ، ليتابعوا هذه العملية ، باعتبارها عملا ، هذا يجعلنا نستفيد من البادية فى حل كثير من اشكالاتنا واهمها المشكلة الغذائية · ويجعل البادية تبقى معمورة فلا تصبح خالية من السكان ، ويسهل ان يتسلل منها الاعداء ، او ان تستخدم لاي هدف معاد · ولذلك أنظر الى مشكلة البدو واستقرارهم نظرة مختلفة · فلا بد ان يولوا الرعاية والعناية الكاملة ، ولكن على ان يظلوا فى الصحراء ، ويظلوا يعتنون بتربية الماشية ، لانها مهنتهم التاريخية · وبذلك يفيدون الوطن ويقومون بوظيفة اجتماعية ·

هذا ما يتعلق بموضوع البدو · فيما يتعلق بالطبقة العاملة ، لم اتكلم فقط عن الطبقة العاملة الصناعية · لقد قلت هناك طبقة عاملة تعمل فى الصناعة ، هناك عمال يعملون فى قطاعات مختلفة كقطاع الخدمات مثلا ، وهناك عمال اجراء زراعيون ، اي عمال يعملون فى القطاع الزراعي · فيما يتعلق بالطبقة العاملة التي تعمل فى الصناعة ، لا تمتاز فقط بانها ممركزة ، التمركز سمة من سماتها ، ولكن العلاقة مع الالة ، كما يقول العلم ، هي سمة اخرى ، نظام العمل سمة ثالثة · لان الالة ايضا تفرض النظام فى العمل · طريقة الاستثمار البرجوازي أيضا سمة ، لان البرجوازي يعلم العامل كيف يكون دقيقا ، كيف يكون مواظبا ، كيف يأتي من الساعة السادسة صباحا مثلا، كيف لا يتوقف عنالعمل الا فى الساعة الثانية عشرة لمدة نصف ساعة مثلا· وكل ذلك يفتقدهالمجتمع البدوي ، او المجتمع الفلاحي الذي لا يعرف تقاليد للعمل ·

هذه كلها ساعـدت الطبقة العاملـة على تكويـن وعـيها العلمي ، وتساعدها على تكوين تقاليدها فى العمل • وهـذا ما يميزها عن قطاعات العمال الاخـرى • هـذا جانب مـن الموضوع ، ولكن الجانب الاخـر الذي لم تبحثه الماركسـية فى حينه ، والذي برز فيما بعد خلال الخمسين او السبعين سـنة الاخيرة ، ان الطبقات الحاكمة التي ترى ان الطبقة العاملة قد تبلورت وتجمعت واصبحت قـوة ، تعمل على افسادهـا ، ولدى الطبقات الحاكمة من امكانيات الثروة مـا يخولها ان تصرف على افسادها ، فتحل الاجزاء الاساسية من مشكلتهـا الاقتصادية • مثلا ساعـات العمل تصـبح ثماني ساعـات ، التطبيب المجاني ، صرف مكافآت ، تسـمى أحيانـا الشـهر الثالث عشر ، تحسين شروط معيشتها ، توفير مساكن للعمال، توفير مدارس لابناء العمال • كل هذه الامور التي تساهم فى تخفيف حدة عامل الصراع الاقتصادي المباشر • العامل الذي كان يطالب بزيادة ، صار يضرب ليحصل على زيادة جزئية • والذي كان يطالب بثماني ساعات عمل يوميا حصـل عليها ، ومن يطالب بمسكن توفر له مسكن • فالحوافز لصراع مباشر نتيجة الاستغلال الاقتصادي المباشر ، اخـذت تخف بصيغتها المباشرة ، وان كانت تزداد بصيغتها غير المباشرة • وبذلك من الضروري ان يتوفر الوعي الكامل لكي تدرك الطبقة العاملة ان الاسـتغلال المباشر خف ، ولكـن الاسـتغلال غـير المباشر ازداد • كثفت البرجوازية ايضا نشاطاتها فى اوساط الطبقة العاملة ثقافيا وسياسيا ، بحيث تصرفها عن النضال العنيف ،

وعن العمل السياسي الثوري ، الى العمل السياسي المطلبي والنقابي والاصلاحي · وهذا ايضا ذو اثر · والان هذه الناحية تزداد خطورة على الطبقة العاملة فى مختلف بلدان العالم ·

فيما يتعلق بالفئات العمالية الاخرى ، فهي معرضة للتذبذب والاهتزاز كثيرا لانها ، خصوصا فى بلادنا ، أولا من فئات فلاحية قريبة العهد بالعمل ، وثانيا طبيعة عملها لا تعلمها تقاليد عمل · مثلا من يعمل حمالا فى الميناء يعمل حسب همته · ومعظمهم لا يعملون مياومة بل يعملون على افراغ باخرة ، او على عمل محدد · يعني كأنه ضمان عمل · فهؤلاء الناس يرتاح الواحد منهم عندما يريد ويغيب كما يريد ، ويشتغل عندما يريد ، وبالتالي فهو لا يكتسب تقاليد عمل جماعي · عمله ايضا يخلق منافسة بين مجموعة واخرى فى ميدان العمل ، فهذه المجموعة تضارب على المجموعة الاخرى ، فى نفس الوقت تخلق عنده روح كره العمال الاخرين ، فعندما يكونون مائة عامل ، يطردون اي عامل جديد باعتباره منافسا · فتظل تسيطر عليهم عوامل مباشرة ذاتية ، لا تساعدهم على تكوين وعي علمي متقدم ، وتقاليد عمل متطورة · بالنسبة لهؤلاء العمل السياسي او العمل التنظيمي المتطور هو الذي يحل اشكالات تذبذبهم ومزاجيتهم ، لانهم من خلال التنظيم يجب ان يتعلموا كيف يكونون منضبطين ؟ كيف يكونون دؤوبين ؟ كيف يتعلمون تقاليد العمل الدقيق ؟ وفئة منهم تسير قدما فى هذا المجال ،

وتتحول الى قوى ثورية حقيقية مناضلة واعية • واقسام اخرى تبقى متذبذبة تقاتل حينا ، وتذهب الى بيتها حينا • لقد لمسنا فى لبنان هذه الظاهرة ، لان معظم الذين كانوا يقاتلون ليسوا عمالا بالمعنى الحقيقي ، بل هم من عمال الخدمات والعمال الذين يشتغلون مزاجيا فى لبنان • وهذه عادة مشهورة ، فالعامل منهم يشتغل ١٥ يوما ، ويترك ، ثم يعود الى العمل من جديد ، ويغيب ثلاثة ايام ويحضر تقريرا طبيا• وهذا يدل على عدم توافر روح الانتظام فى العمل وعدم وجود تقاليد عمل • وكان بعضهم خلال القتال المسلح يترك المتراس الساعة الرابعة صباحا ويذهب لينام فى بيته ، يغتسل ويستحم ويحلق ذقنه ، ويعود فى اليوم التالي الساعة الرابعة مساء • لِمَ ترك المتراس من الرابعة صباحا للرابعة مساء ؟ يقول لك تعبت وذهبت لكي ارتاح • هذه هي نفسيتهم • ومثل هذه التقاليد لا يمكن الاعتماد عليها فى عمل منتظم • انهم يشاركون بمظاهرة او بهبة لمدة يومين او ثلاثة او اربعة، لا تأخذ طابعا منتظما • الحقيقة ، هؤلاء الناس بحاجة لدراسة اكثر دقة ، لان معظمهم الان يسكنون فى ضواحي المدن ، وكونوا احياء شعبية واسعة النطاق ، اخذت تشكل لها بعض التقاليد الجديدة ، من حيث العلاقات الاجتماعية ، وحتى من حيث الوعي السياسي • أي انهم ليسوا ريفيين يسكنون المدينة بشكل مؤقت • بل أصبح معظمهم يسكن فى ضواحي ثابتة ، مثل تل الزعتر ، برج حمود ، الكرنتينا فى بيروت ، فى دمشق ايضا اصبحوا يشكلون ضواحي كاملة من العاملين

الفقراء الذين يعيشون أبأس الحالات لانهم يأتون من القرى ، ولديهم عدد كبير من الاطفال ، ويسكنون فى بيوت ضيقة جدا، غير صحية ، ودخلهم لا يكفي للعلاج بشكل صحيح ، او للتغذية بشكل صحيح او للدراسة فى المدارس غير الحكومية ، وبالتالي فان وضعهم يزداد فقرا ، وحياتهم تفرض عليهم ان يفكروا بشكل ثوري اكثر ، لانهم يعيشون ضمن وضع اخذت سيطرة السوق البرجوازي عليه شكلا منتظما ، صاروا تحت السيطرة الكاملة للسوق البرجوازية وليسوا فى القرية . فلقد وصلت السلعة البرجوازية الى القرية، ولكن بامكان الفلاح حتى الان ان يعيش بالعقلية القروية ، او ان يعيش ضمن بواقي الانتاج القروي أي ان قطعة من الارض يأخذ منها بعض الضروريات ، ويستدين من جاره او ابن عمه ، ويسده فى الموسم . لكن فى المدينة ، هذا غير موجود ، لان الجار فقير . واذا استدنت منه خمسين ليرة لا يستطيع ان ينتظر حتى الموسم، لانه مثلك، وعنده عائلة مثلك .. الخ . وبالتالي هناك دورة جديدة تساهم فى تنمية وعيهم ، فى ربطهم بعجلة البرجوازية كحركة شاملة كحركة محدودة على نطاق الحي . وبالحقيقة لم أكن أدعي بالامس ان الخريطة التي قدمتها فى منتهى الدقة ، لان الارتجال وعدم كتابة الاشياء يترك كثيرا من الثغرات ، اذ ان الانسان لا يستطيع مراجعتها ، لانك عندما تكتب شيئا ، تراجعه قبل ان تقرأه ، تكتشف الثغرات التي فيه ، وتستطيع ان تطورها او تعدلها ، او حتى ان تضع الارقام الدقيقة . وعندما تتحدث لا تستطيع أن تسيطر على

هذه العملية بشكل دقيق ·

نأتي الى دور البرجوازية التقليديـة ، ان الالتباس الذي تحدث عنه الزميل وارد · ولكن هذا الالتباس يزول عندمـا ندرس القضية بمنطق دراسة الوضع الملموس ، لينين عندمـا تكلم عن دور البرجوازية ، عن ضرورة الثورة البرجوازية ، عن دور القيادة البرجوازية فى المد المعادي للامبريالية ، كان يتكلم فى السنوات تقريبا بين ١٩١٢، ١٩٢٤· تحدث عـن الصين ، تحدث عن ايران ، تحدث عن مصر· فى هـذا الوقت بالذات لم تكن البرجوازية فى هـذه الاقطار قـد دخلت ضمن عجلة النظام الرأسمالي العالمي تماما ، كـانت هـذه الاقطار تعيش عزلتها بعد ، لم تكن طرق المواصلات قد فتحت ، لم يكن الاحتلال قد اكمل سيطرته على الصين مثلا ، كانت فئات من البرجوازية حتى التقليدية متعارضة مع السيطرة الامبريالية، لان السوق الامبريالية لم تكن قد امتدت الى كل العالم ، ولان هؤلاء البرجوازيين رأوا فىالسيطرة السياسية والاقتصاديـة الاجنبـية اخضاعـا لهم للبرجوازيـة فى « المتروبـول » ، وللرأسمالية المتقدمـة التي كانـوا يخافونها · وهنا نشأ التناقض بينهم وبين محاولات هذه السيطرة · ولذلك قـامت ثورات فى بلدان عديدة مـن العالم الثالث كـانت تشارك فيها البرجوازية ، أو قطاعات من البرجوازية · الذي حدث بعد ذلك ان تطورا كبيرا شمل هذه الاقطار ، فأصبحت برجوازية هذه الاقطار جزءا من السـوق الرأسمالية العالمية ، وبالتالي اصبحت تابعة للقوى البرجوازية فى العالم الامبريالي · وهنا

انتهى تناقضها الرئيسي مع دول « المتروبول » ، مع الدول المستعمرة ، وصفّت مع هذه الدول ضد جماهيرها • هل يعني ذلك ان الثورة البرجوازية الديمقراطية انتهت الى غير رجعة ؟ لا طبعا ، هنا حدث تداخل ادى الى ان يسمي ماوتسي تونغ الثورة التي كان يقودها « دكتاتورية الديمقراطية الشعبية » « الديمقراطية الجديدة » لانها مرحلة تقوم بها قيادة الثورة برسملة المجتمع ، اي بادخال النظام الرأسمالي الى المجتمع ، ولكن دون الطبقة البرجوازية الرأسمالية ، هنا يحدث الالتباس • فى وطننا ايضا سقط دور البرجوازية التقليدية ، ولكن هل سقطت الضرورة للثورة الديمقراطية ؟ لم تسقط • من سيقوم بهذه الثورة ؟ فئات اخرى غير البرجوازية التقليدية • انها ستدخل الرسملة الى المجتمع • وهذا ما لم يفهمه الماركسيون الطفوليون ، وهذا الذي يؤدي الى هجومهم المستمر على ما يسمونه الطريق اللارأسمالي ، وعلى ما يسمونه رأسمالية الدولة ، لانهم يظنون ان المجتمعات ماقبل الرأسمالية ، أو التي لم تنجز ثورتها الديمقراطية بعد، يمكن ان تنتقل الى الثورة البروليتارية مباشرة ، ولا يرون باي شكل من الاشكال ان هنالك مرحلة وسيطة ستمر بها هذه المجتمعات ، حتى لو كانت البروليتاريا فى قيادة الثورة •

هذه المرحلة هي مرحلة رسملة المجتمع • ولكن رسملة المجتمع على يد من ؟ على يد البرجوازية التقليدية أو على يد الطبقات الاخرى ؟ هنا يحدث الاشكال • كيف يمكن ان تكون الرسملة عن طريق البرجوازية الصغيرة مثلا ؟ ان هذا

لم يرد فى الدراسات الماركسية الكلاسيكية ، لان هـذا الوضع الملموس لم يكن موجودا • الان اصبح موجودا ، وبـات مـن الضروري ان تدرس مرحلـة الانتقال هـذه ، التي يسـميها بعضهم مرحلة التطور اللارأسمالي ، ويسميها اخرون مرحلة رأسمالية الدولـة ، وعلينا ان نـدرس القضية بدقـة ، ان البرجوازية الصغيرة بدعم من قطاعات واسـعة مـن العمال والفلاحين ، وعلى انقاض الاقطاع والبرجوازية التقليديـة تقيم مجتمعا رأسماليا جديدا ، ولكن بطريقـة أخرى وفى ظل سلطة اخرى • هل هـذه مرحلة متخلفة ؟ لا ، انها مرحلة متقدمة ومن خلالها او من ضمنها ، مـن صلبها ستولد الطبقة العاملة وستولد الثورة الاشتراكية ، سيحدث اختلاط فى مرحلة معينة ، هذا الاختلاط بين دور البرجوازية الصغيرة بشرائحها المختلفة ، وبـين العمال والفلاحـين الفقراء • ثم سـيزداد التناقض بين الطبقة العاملة التي ولـدت فى هـذه المعركـة ، ونمت فى المصانع التي بنتها البرجوازيـة الصغيرة بشرائحها المختلفة ، وبين الشرائح الحاكمة مـن البرجوازية الصغيرة التي تحاول أن تسلك مسلـك طبقة برجوازية فى ممارساتهـا السياسية والاقتصادية ،سيتنامى هذا الصراع ليدفع باتجـاه شكل ارقى لن يكون سلطة البروليتاريا ، لان البروليتاريا لن تستطيع لا من حيث الحجم ، ولا من حيث الوعي ولا من حيث دورها الاقتصادي ان تكـون الطبقة الحاكمة الوحـيدة على انقاض الطبقات الاخرى ، بل من خـلال تحالف شعبي اوسع يضم الطبقة العاملة ، يضم الشرائح الثورية والديمقراطية

من البرجوازية الصغيرة ، ويضم الفلاحين الفقراء • وهـذا ما حرصنا على تسميته الثورة القومية الديمقراطية الشعبية العربية • لاننا حللنا هذا الوضع الملموس واستشرفنا افاقـه المقبلة • اذا فهمنا هذه القضية جيدا يزول الالتبـاس تماما•

الثورة البرجوازية ستتحقق ولكن على غير يد البرجوازية التقليدية ، ستتحقق عن طريق البرجوازية الصغيرة ، وهي تقود العمال والفلاحـين • ثم سـتتحقق او سـتنجز مهماتها الاكثر تعقيدا عن طريق المساهمة الفعلية الحقيقية للعمـال والشرائح الثورية مـن البرجوازيـة الصغيرة الثوريـة والفلاحين الفقراء • ولكن مرحلة ستمر قد تحتاج الى عشرين او ثلاثين سنة تسود فيها « الثورة الديمقراطية الجديدة » او الثورة الديمقراطية الشعبية التي سيمر بها مجتمع متخلف لم ينجز ثورته الديمقراطية على يد البرجوازية ، لا أعرف اذا كانت هذه القضية قد اصبحت واضحة ام لا • ولكن ارى انه من الضروري أن توضح، لان اتضاحها هو الذي يساعدنا على فهم نظرية الثورة القومية الديمقراطية الشعبية ، وهو الذي يساعدنا على كشف عدم دقة الآراء المطروحة بضرورة انتقال المجتمع العربي الى الثورة الاشتراكية فورا والان •

★ ★ ★

س : فى ظل سيطرة الامبريالية كان للبرجوازية الصغيرة طريق وحيد ، هو الارتباط بالامبريالية ، وبذلك استطاعت ان تخلق طبقة عاملة ، بحجم معين ، ولكن واضح جـدا كما

تكلم الرفيق امس ، ان البرجوازية الصغيرة تلعب دورا كبيرا في تمييع الصراع الطبقي في المجتمع ·

من الواضح جدا ان العامل في منطقتنا العربية يحقق كثيرا من المنجزات بدون نضال مباشر ، ما اريد ان اسأله من خلال تجربة العراق مثلا ، البرجوازية الصغيرة في الوقت الحاضر هي التي تقود الطبقة العاملة·ما مدى مراهنتنا فعلا على انظمة برجوازية صغيرة تستطيع فيها الطبقة العاملة او الجماهير الشعبية ان تنقل السلطة عبر مرحلة محددة ، دون ان تحصل ردة ودون ان تحصل عملية تراجعات مثلما حصل مثلا في سوريا او في مصر ؟

ج : اسمح لي يا رفيقي العزيز ، يبدو اننا نناقش الامور بطريقة حزب العمال الشيوعي المصري وبعض الماركسيين الموجودين في بيروت الذين لا يرون اطلاقا من حركة التاريخ الا خطا مستقيما ، اما انا فأرى الحركة المعقدة المتذبذبة التي تذهب قدما ، وتعود الى الوراء · وهي الحركة التاريخية الطبيعية ، سأوضح الامر لكم · انا لم اتحدث اولا عن البرجوازية الصغيرة كطبقة كاملة، بل قلت ان هنالك شرائح · وحاولت ان احدد لكل شريحة دورها · وهذا كان واضحا في حديثي · وثانيا ليس لدي مراهنة ، ولا يجوز ان يكون لاحد منا مراهنة ، على ان البرجوازية الصغيرة ستقود النضال لانجاز الثورة الاشتراكية ، لا يجوز اصلا ، ومن يناقش في هذا يكون كمن يناقش بأن الجمل سيصبح حصانا مثلا· هذا ضد العلم لأن البرجوازية الصغيرة ليست مخولة أن

تنجز ثورة اشتراكية، والذين يحاسبونها على انها ستنجز ثورة اشتراكية ، أناس غير علميين ولا علاقة لهم بالعلم، يحاولون أن يسقطوا عليها أحلامهم، أما أنا فلا أسقط عليها حلما. أنا اراها كما هي وارى دورها ، دور البرجوازية الصغيرة . انها تدخل الرسملة الى المجتمع ، ولكن بطريقة اخرى غير طريقة البرجوازية التقليدية ، من خلال سيطرة البرجوازية الصغيرة على سلطة القطاع العام ، اشراك العمال والفلاحين .. الخ . فى قطاعات معينة ، واعطائهم بعض التنازلات ، ضمن هذا الاطار هي ترسمل المجتمع . هل ستكون قادرة على تحقيق الثورة البرجوازية الديمقراطية الشعبية وحدها ؟ لا قطعا ، وهي لم تستطع ان تفصل السوق المحلية عن السوق الرأسمالية، والذين ظنوا منكم انها تستطيع ايضا ارادوا ان يسقطوا عليها احلامهم ، وظلموها وظلموا انفسهم لانها غير قادرة ، هي لا تستطيع . ومن هذا المنطلق هل تستطيع ان تحقق شيئا ؟ نعم. ما هو ؟ يجب أن نراه ضمن حده المحسوس حتى لا نخطىء نحن ، هي تضرب اسس المجتمع التقليدي ، تنهي دور الاقطاع السياسي ، أي الدور المباشر ، وليس الدور التحتي ، تنهي الدور المباشر للبرجوازية التقليدية ، ولكن الدور المباشر يعني سيطرتها على المصنع على الالة الاقتصادية ، سيطرتها على رأس المال بشكل مباشر ، قيادتها للسلطة . ولكنها لا تنهي الاقطاع كمؤسسة وكبنية فوقية ، ولا تنهي البرجوازية كمؤسسة وكبنية فوقية ، لانها ليست من طبيعة مناقضة جذريا للبرجوازية ، هي تغتصب سلطة البرجوازية ، تأخذ اموالها ، توظفها فى تحقيق مشاريع اقتصادية وسياسية

واجتماعية تخدم اهدافها هي كطبقة ، ولا تخدم اهداف الطبقة العاملة بشكل شامل • هل تستفيد الطبقة العاملة من هـــذه العملية ؟ نعم ويستفيد الفلاحون والفلاحون الفقراء • ضرب الاقطاع وان كان بشكل جزئي هو خطوة على طريق تطـور المجتمع • ان ضرب البرجوازية التقليديـة التي لم يسـتطع العمال حتى الان أن يقوموا به، خطوة على طريق تطور المجتمع، خطوة غير كاملة ، ولن تكتمل ، ولكنها خطوة يجب ان نراها • ان ادخال المصنع الى المجتمع هو خطوة هامة ، ادخال المدرسـة ايها الرفاق هو خطوة هامة ، والذين لا ينظرون الى هذه الامور جيدا لا يرون الحقائق •

فى الجزائر مثلا كان سـنة ١٩٧٥/١٩٧٦ ثلاثـة ملايين طالب ، بينما لم يكن العدد سنة ٦١ أكثر من ٢٠٠ ألف ، دخلت المدرسة الى كل قرية من قرى الجزائر ، ودخلت المدرسة الى كل قرية مـن قـرى العراق ومـن قـرى سوريـا وهناك ملايين الطلاب • هذه ايضا خطوة هامة • هـل نرى ذلـك كله او لا نراه ؟ من هذا الوضع ومـن تناقضاتـه الشاملة السياسـية والاقتصادية ، سيولد المزيد مـن الوعي الـذي يمكن الطبقة العاملة والطبقات الشعبية الاخـرى ، أي الشرائـح الثورية والديمقراطية من البرجوازية الصغيرة والفلاحـين الفقراء ان يحتلوا وضعا اكثر تقدما فى المجتمع ، سواء كـان ذلـك فى عمليـة الانتـاج ، أو كـان ذلـك فى العمليـة السياسيـة ، ولا يستطيعون اطلاقا أن يحتـلوا دورا أكبـر فى العمليـة السياسـية ، اذا لـم يحـتلوا دورا أكـبر فى عمليـة الانتـاج • علينا أن نرى القضية بهـذه الطريقة•

وهي قضية معقدة تماما ، وستمر بصراعات وبثورات وانقلابات وحركات عسكرية • ان سيطرة البرجوازية الصغيرة على السلطة ، لا تحل مشاكل المجتمع العربي الاساسية ، اذ لم تستطيع حتى الان ان تحل مشكلة الوحدة العربية، ولن تستطيع أن تحلها حسب تحليلي، لانها ليست هي الطبقة القادرة على أن تحل هذه المشكلة ، لم تحل مشكلة التخلف الاقتصادي ، ولن تستطيع ان تحله بشكل شامل ، لن تستطيع أن تحل مشكلة التجزئة بشكل شامل• من الذي يستطيع ان يحقق هذه المهمات الكبيرة ؟ لا يستطيع ان يحققها الا تحالف واسع كبير يضم الطبقة العاملة بدورها المتنامي ، والشرائح الثورية والديمقراطية من البرجوازية الصغيرة والفلاحين الفقراء • وكلما ازداد دور الطبقة العاملة فى هذا التحالف ، كلما أصبح ممكنا أن تحقق المزيد من المهمات والمزيد من الانجازات • الذين ينتظرون ثورة اشتراكية على يد البرجوازية ، اقول لهم البرجوازية الصغيرة لا تحقق ثورة اشتراكية • والذين ينتظرون على يد البرجوازية الصغيرة انفصالا كاملا عن السوق الامبريالية ، اقول لهم انها لا تحقق انفصالا كاملا عن السوق الامبريآلية ، لان الانفصال الكامل عن السوق الامبريالية لا يتحقق الا فى مرحلة متقدمة نبني فيها صناعتنا الثقيلة والمتوسطة والخفيفة • ننجز عملية اكتفائنا الذاتي ، لنصبح مساهمين فى السوق العالمية ، لا متأثرين بها وبحاجة اليها ، وهذا لا يتم لا خلال عشر سنوات ، ولا عشرين أو ثلاثين سنة ، وتجربة الصين التي تحدثنا عنها سابقا هي دليل جيد يستحق الدراسة • طرح ماو

بعد الثورة الاشتراكية ، وليس خـلال مرحلة الديمقراطية الجديدة ، قضية الاعتماد على النفس وبناء الاقتصاد بالاكتفاء الذاتي ، وناضل على ذلك طويلا ، ودخـل صراعات فى داخل الحزب ، وفى داخل المجتمع ، وبعد سنوات طويلة امتدت مـن سنة ١٩٤٩ حتى سنة ١٩٧٦/١٩٧٧ اكتشفنا ان هذا الصراع ما زال دائـرا فى داخـل المجتمع الصيني ، وفى داخـل الحزب الشيوعي الصيني ، وأن هناك فئات هي التي اغتصبت السلطة الان ، ترى انه لا يمكن ان تتم تنمية داخلية بالاكتفاء الذاتي فقط ، والاعتماد على النفس ، ولا بد من الاستعانة بالسوق الخارجـية وبالتكنولوجيا الخارجية • هـذه قضية تسـتحق الدراسة تماما ، لا لأنني أرى ان ما فعـله دنغ هسياو بنـغ صحيح ، انني لا اراه صحيحا ، ولكن لان هذا الانعطاف يعكس حقائق فى داخل المجتمع الصيني وفى تعقيدات مشكلة التنمية ، لا بد ان يدرسها كل معني بقضية التنمية ، وحتى لا نرى ان عملية التنمية يمكن ان تتم فى يوم وليلة ، بضغط على الزر لتحل كل تعقيداته• أرى بعد هذا كله أن نكون واضحين في دراسة البرجوازية الصغيرة ، وان تكـون مناقشـتنا لوضعها عملية ، فـلا نتبنى الآراء التي تطـرح ، والتي اسـميها انا « مناكفات » سياسية مع البرجوازية ، لان بعض الشيوعيين والاشتراكيين الفاشلين يريدون أن يغطوا عجزهم عن قيادة النضال السياسي والجماهيري باتهام البرجوازية الصغيرة ، انها لم تحقق الاشتراكية ، وهذا غير منطقي ، وغير علمي• البرجوازية الصغيرة ، غير مخولـة ان تحقق الاشتراكـية ، والذي يطالبها ان تحقق الاشـتراكية يخـدع نفسه ، ويخدع

جماهـيره ، هي لا تحقق الاشتراكـية ، انها تقوم بخطـوات سياسية واقتصادية معينة تعتبر حلقة فى تطور المجتمع ، حلقة فى الصراع مع الاقطاع وبقايا الاقطاع ، مع الحياة العشائرية ومع البرجوازية التقليدية باشكالها الكمبرادوريـة خاصة ، ولكنها لا تعتبر حلقة حسم فى تاريخ التطور فى المجتمع العربي، يعني هي نقلة نوعية ولكنها ليست نقلة نوعية حاسمة ، هي نقلة نوعية جزئية ، وعلينا ان نراها ضمن هذا الاطار ، وان نتعامل معها ضمن هذا الاطار ·

ان دورنا الذي ندعيه هو الذي سيتجاوز دورها ·

★ ★ ★

س : ما هي الاشكال التي يمكن أن يتخذها الصراع الطبقي فى مرحلة التحرر الوطني التي يمر بها الوطن العربي من اجل ان يكون التحرر لمصلحة الطبقات الكادحـة العربية وطلائـع الطبقة العاملة وليس لمصلحة البرجوازية الوطنية، وكيف تصنف القيادة الفلسطينية طبقيا ؟

ج : اولا : ليس فى البلدان المتخلفة ، وبعد الحرب العالمية الثانية تحديدا ، ما يمكن ان يسمى طبقة برجوازية وطنية · واعتقد ان استخدام هذا اللفظ فيه كثير من الالتباس· ان الذين استخدموا هذا اللفظ ، وتكلموا عن برجوازية وطنية ، تكلموا عن هذا الموضوع فى ظروف مضت ، عن اوروبا القرن التاسع عشر ، حيث كان من مصلحة البرجوازية الفرنسية ان تصارع البرجوازية الالمانية ، ان تصارعها على قضايا الوطن،

وان تصارعها على المستعمرات ، وكان هنالك ما يسمى برجوازية وطنية ، لانها لها مصلحة فى الدفاع عن حدود الوطن ، ولها مصلحة فى غزو المستعمرات ، والذين تحدثوا ايضا عن هذه البرجوازية الوطنية تحدثوا عنها فى العقدين او فى العقود الثلاثة الاولى من هذا القرن الاول والثاني والثالث، أي منذ سنة ١٩٠١ الى سنة ١٩٢٧/ ١٩٣٠ عندما كان هنالك بقايا من البرجوازية المعادية للسيطرة الاستعمارية على أراضي الوطن ، ولكن بعد ذلك ، عندما امتدت السوق الامبريالية الى جميع أنحاء العالم ، وامتدت السيطرة الاقتصادية والسياسية الاستعمارية الى جميع المستعمرات ، كيفت العناصر البرجوازية نفسها مع هذه السيطرة ، وأصبحت جزء منها بشكل كامل ، ولم يعد هنالك شيء اسمه الطبقة البرجوازية الوطنية ، اصبح هنالك اشخاص أو مجموعات وطنية من البرجوازيين او من ابناء البرجوازيين التي تتخذ موقفا وطنيا معاديا للاستعمار ، لماذا حصل ذلك ؟ هذا يجب أن نفسره أيضا طبقيا ، لان الطبقة ككل أصبح من مصلحتها أن ترتبط بالسوق الامبريالية • ولكن بعض افراد فى الطبقة كان وعيهم يتجاوز مصلحة الطبقة ، وهذا شيء عادي، شيء صحيح، أي مثلما يصبح برجوازي صغير مع الطبقة العاملة• لا لان مصلحة طبقته كلها صارت مع الطبقة العاملة ، بل لان وعيه تجاوز مصلحة طبقته • وبعض البرجوازيين وعيهم يتجاوز مصالح طبقتهم ووعي طبقتهم ، فيتبنون الموقف الوطني ، ويناضلون من اجل استقلال الوطن ، ومنع الهيمنة الاجتماعية الاقتصادية علي الوطن ، ويصنفون

على اساس انهم برجوازيون وطنيون ، وشهدت فيتنام والصين اناسا من هذا القبيل ، شاركوا ودعموا الثورة ، وايدوها بالمال وبالموقف السياسي ، وعرضوا مصالحهم الاقتصادية لخطر المصادرة فيما بعد ، ولكنهم نتيجة وعيهم اتخذوا هذا الموقف. أما الطبقات البرجوازية فى الصين وفيتنام وكوريا فهي كطبقات اخذت الموقف المعادي للوطن وموقف المرتبط بالسيطرة الامبريالية . اذن القضية هي قضية افراد او مجموعات من الافراد ، وليست طبقة او جزء من طبقة يمثل مصالحها الاقتصادية .

القضية الثانية : عندما نتحدث عن هذا الموضوع لا يجوز ان نتحدث عن قيادة م.ت.ف.، لان قيادة م.ت.ف. لا تمثل البرجوازية الفلسطينية ، وهي بالاساس ليست من البرجوازية الفلسطينية من حيث انتمائها الطبقي . البرجوازية الفلسطينية تتمثل بالشوا والمصري والشكعة ... الخ . التي هي خليط من ملاك الاراضي العقاريين الكبار والبرجوازين الكمبرادورين ، وفى نفس العائلة هنالك تاجر وآخر ملاك كبير ، متعاونان معا. هذا يمد هذا بالمال. وهذا يمد هذا بالمنتجات الزراعية وما اشبه ذلك . اما أشخاص مثل بعض أعضاء منظمة التحرير الفلسطينية، فهم من عناصر البرجوازية الصغيرة ولكن من اشد عناصر البرجوازية الصغيرة تخلفا ، أي ليس من القطاعات المتقدمة والمتطورة حتى الليبرالية من البرجوازية الصغيرة ، هم من القطاع البرجوازي الصغير الذي سمح له وعيه ان يتكون

ضمن حركـــة الاخـــوان المسلمين • الان ، اذا أردنـا أن نتحدث عن هذه الفئة ، هل هي فئة وطنية او غير وطنية ، فلا يكفي ان نتحدث عنها من خلال انتمائها الطبقي ، يعني كونهم من البرجوازية الصغيرة لا يكفي ليكونوا وطنيين ، ولا يكفي ليجعل منهم غير وطنيين ، مجموع مواقفهم السياسية هي التي تجعلنا نحـكم انهم وطنـيون او غـير وطنيين ، فأي خـط انتهجوا ؟ ان الخط الذي انتهجوه بالحسابات البسيطة غـير المعقدة يجعلهم عناصر برجوازية صغيرة مسـتعدة للتفريط بأرض الوطن ، لا نقول ذلك لاننا فى صراع معهم من سنوات ، بل نقول ذلك ، لاننا يجب ان نمتلك تحديدا لمفهوم الوطنية والخيانة • وفى النقاشات التي دارت فى الاشهر الماضية ، وبعد ان طرح اصدقاؤنا فى الجبهة الشعبية نظريـة البرجوازيـة الوطنية التي يجب التحـالف معها ، قلنا لهم مـا هـو تعريف الوطنية ؟؟ لا بد ان يكون لها تعريف ، هل مـن قام بالاتصال بالعدو الاجنبي وطني ؟ هـل المساومـة على ارض الوطـن وطنية ؟؟ هل التعامل مـع الاميركيين والدعايـة لكارتـر وطنية ؟؟

أما ما هي الاشكال التي يأخذهـا الصراع الطبقي ••• الخ ؟؟؟ لكن يكون لمصلحة الطبقة العاملة ؟

الان هنالك اختلاط فى قضيـة الصراع الطبقي فى الوطن العربي ، وهنالك اختلاط لسببين :

السبب الاول : لان الـوعي الطبقي غـير مكتمل ، ولان هناك تداخلا فى مهمات بعض الطبقات كالبرجوازية الصغيرة

والعمال والفلاحين الفقراء ، وهذا الاختلاط يساهم فى تشويه الوعي الطبقي ، وفى عدم تحديد جوهره وأطره ٠

السبب الثاني : ان كثيرا من الفئات التي تطرح نفسها على انها ممثلة للطبقة العاملة ، والتي تطرح ايديولوجية الطبقة العاملة ونضالها، ان كثيرا منها ساهم فى تشويه الوعي، لانها اما ان تطرح خطا طفوليا ، لا علاقة له بالواقع ، وتعطي لنفسها دورا لا تستطيع القيام به ، كأن تكون هنالك مجموعة صغيرة أو حزب صغير جدا ويطرح انه اسقط الاولين والاخرين بجرة قلم ، ولا يخوض أي نضال ليسقط جاسوسا او ليسقط طبقة متخلفة ، ومنهم من يعلن انه يمثل الطبقة العاملة ولكنه يقدم أطروحات وأفكارا انتهازية متذبذبة تدور ضمن اطار القوى الحاكمة ، كما حدث مع الحزب الشيوعي السوري فى مراحل نضاله المختلفة ، يعني كان دائما فى ظل البرجوازية ومدافعا عن خطواتها او منتقدا لها بشكل لين خفيف ، ولا يطرح القضايا الاساسية الجوهرية للطبقة العاملة ولحلفائها ٠ لذلك لم يطرح قضية الوحدة مثلا ، ولم يتبنها ، لم يطرح قضية فلسطين بشكل جدي ، ولم يتبنها، على الرغم من انها من القضايا الاساسية ٠ وكان يعتبر اية قضية نقابية صغيرة اهم كثيرا من قضية الثورة العربية ككل او قضية الوحدة العربية ٠ الحقيقة لا يجوز ان نتحدث عن هذا الموضوع بشكل نظري فقط ، ما هي الاشكال التي يجب ان يأخذها الصراع ؟ هذه الاشكال يجب ان تكون الاشكال التالية من وجهة نظري :

اولا : هنالك شكل من الصراع وهو شكل هام جدا انه صراعنا نحن • عندما اقول نحن اقصد هذا التحالف الواسع بين الطبقة العاملة والشرائح الثورية والديمقراطية من البرجوازيةالصغيرةوالفلاحين الفقراء، صراع هؤلاء جميعا معالسيطرةالامبرياليةالمباشرةوغير المباشرة علىأرضالوطن، ومع الطبقات والقوى الرجعية المتحالفة مع السيطرة الامبريالية • وهذا شكل من اشكال الصراع الطبقي ، لان هناك طبقات مقهورة ومضطهدة تواجه طبقات مستغلة بعضها من الداخل وبعضها من الخارج • ان تطوير هذا الصراع ، وتعميق قاعدته السياسية ، وزيادة عنفه يساهم فى تطوير تجربة العمال والفلاحين والشرائح الثورية من البرجوازية ، ويساعدهم جميعا على تكوين تنظيماتهم المستقلة ووعيهم المستقل ، ويساعدهم على ان يكونوا اكثر قدرة على مصارعة القوى الرجعية الداخلية • ولكن هل يكفي ذلك ؟ لا يكفي • هنالك شكل آخر من الصراع ، وهو صراع الطبقة العاملة داخليا من اجل تنمية وعيها ، وحتى ضمن اطار هذا التحالف، بناء تنظيمها المستقل، لان بناء تنظيمها المستقلشيء ضروري جدا ، بلورة نظريتها السياسية والتنظيمية ، بلورة قوتها الصراعية العسكرية ، حتى من ضمن اطارها التنظيمي ، لكي تكون قادرة على ان تصبح القوة الاساسية فى الصراع ، وبالتالي كي تحسم هذا الصراع لمصلحتها• ضمن اطار هذين الشكلين الاساسيين من الصراع يجب ان يتطور صراع الطبقة العاملة وحلفائها ، حتي يحسموا المعركة الاولى لمصلحتهم

كحلفاء فى الثورة الديمقراطية الشعبية • وحتى تحسمها الطبقة العاملة فيما بعد لمصلحتها عندما تنضج مختلف الظروف التي تجعلها قادرة على الاستيلاء على السلطة • وأود فى هذا المجال أن أعطيكم المثل الفيتنامي فى الجنوب ، وهو غير مفصول عن العمل فى الشمال وأخذ نفس المجرى تقريبا • جبهة وطنية متحدة لقوى العمال والفلاحين الفقراء والشرائح الثورية والديمقراطية من البرجوازية الصغيرة وقد حشدوا فيها ايضا برجوازيين وطنيين، وحتى كما قالوا لنا اقطاعيين وطنيين وسجلوا هذا فى وثائقهم ، يعني افرادا من الطبقة الاقطاعية ودخلوا الصراع مع الامبريالية الاميركية ومع حليفها وعميلها نظام « دييم » ، كاوكي ، ثيو، وحسموا هذا الصراع • عندما حسموا هذا الصراع كانت الطبقة العاملة قد طورت وعيها وبلورت تجربتها ، وبلورت نظريتها وزادت قوتها حتى اصبحت القوة الحاسمة ، فحسمت موضوع الانتقال الى الاشتراكية دون صراعات ظاهرة ، وهكذا انتهى الصراع مع العدو الاجنبي ومع القوى الداخلية العميلة واذا بفيتنام بلد موحد واشتراكي ، حتى مرحلة الثورة الديمقراطية الشعبية بعد الاستقلال لم تدم يوما واحدا ، لان الامور كانت قد رتبت خلال الثورة الطويلة المدى ، بحيث اصبحت الطبقة العاملة وجيوشها وقواتها المسلحة وتنظيمها ، القوة الاساسية فى المجتمع ، واعتقد ان هذا المثل جدير بالدراسة ، لانه على الاقل قريب من تجربتنا الى حد بعيد •

★ ★ ★

س : ليس هناك قضية انتماء طبقي لان الفرد اما ان يكون برجوازيا صغيرا او بروليتاريا او برجوازيا كبيرا · فلو أخذنا مثلا ماركس وانجلز أو لينين فكل منهم هو أساسا ليس بروليتاريا ، هو اهتم بالطبقة البروليتارية ، لكنه لم يكن بروليتاريا · لو اخذت قيادة م·ت·ف· من الناحية السياسيه لا استطيع ان احكم على فرد يتعامل مع العدو سياسيا فقط بل ان له مصالح فى ذلك · واذا مصالحه اجبرته على ان يتعامل مع العدو ، يتعامل مع العدو · بالنسبة لطبيعة القيادة هل هي برجوازية صغيرة ، كأفراد ممكن أن يكونوا برجوازيين صغارا · لكن أعرف ان الطبقة البرجوازية الصغيرة من طبيعتها انها متذبذبة تقف بعض مواقف وطنية وبعض مواقف يمكن ان تساوم مع العدو ، ولكن تبقى فى الاطار العام من ضمن القوى الوطنية ضمن حركة التحرر الوطني، الا فى حالة واحدة: اذا كانوا أفرادا برجوازيين صغارا وصلوا السلطة والتقت مصالحهم مع مصالح الطبقة البرجوازية الكبيرة ، مما يفرض عليهم التحالف مع البرجوازية الكبيرة او التقليدية فى الوطن العربي · وفى الساحة الفلسطينية نجد ان القيادة متمثلة فى خالد الحسن وابو مازن يمثلون البرجوازية الكبيرة او التقليدية داخل م·ت·ف· وليسوا برجوازيين صغارا ، بالنسبة لابو عمار وابو اياد وابو الهول وغيرهم بتصوري انهم اساسا برجوازيين صغارا كأفراد، ولكنهم داخل السلطة تحول انتماؤهم عمليا الى الطبقة البرجوازية الكبيرة، وبذلك فان أي ممارسات يقومون بها سياسيا لا تخرج عن قضية مصالحهم ·؟؟

ج ـ يبدو انه ما زال هناك اختلاط فى هذا الموضوع، ويبدو ان هنالك نقصا فى المعلومات فيما يتعلق باعضاء القيادة · خالد الحسن ابن رجل فقير وابو مازن عمل جرسونا فى مقهى وليسوا ممثلين لبرجوازية كبيرة ، وهم فى اصولهم الطبقية جميعا عناصر برجوازية صغيرة ، كلهم ونحن نعرفهم جيدا · وليس منهم من ابوه برجوازي تقليدي ، ومع ذلك هم اسوأ من البرجوازيين التقليديين ·

سوف نتحدث كيف ؟ فمن حيث الانتماء الطبقي هم جميعا برجوازيون صغار وقد حاولوا فى بدء انطلاقة الثورة ان يعبروا عن مصالح البرجوازية الصغيرة وعن هواجسها، وان يتصارعوا مع البرجوازية التقليدية وان يعزلوها من القيادة، وقد نجحوا ، يعني القيادة الفلسطينية التقليدية اصبحت لا شيء خلال سنوات الثورة الاولى · ولكنهم عندما حققوا سيطرتهم ، وعندما بدأوا عملية الانحراف السياسي التي سنتحدث عن اسبابها ، وجدوا ان من مصلحتهم ان يتحالفوا مع البرجوازية التقليدية ، تماما كما فعل السادات فى مصر ، يعني هم يمثلون خطا ساداتيا تماما ، فتحالفوا مع البرجوازية التقليدية · ومن هنا دخل الخالدي والشوا على الخط ، ودخل آخرون ، لانهم عندما طرحوا قضية التسوية على بساط البحث اصبح ليس هنالك ما يفصلهم عن البرجوازيين التقليديين المساومين ، وبالتالي اصبحوا يشكلون تحالفا مع البرجوازية التقليدية ، وان كانوا قد اصروا على ان يتبنوا النهج السوري فى معالجة الامور، وليس النهج المصري ، فلم يشركوا البرجوازية التقليدية فى سلطتهم السياسية ، بل

تعاملوا معها وادخلوها فى اللعبة السياسية ، حلوا الاشكالات القائمة نسبيا بينهم وبينها ، ولكنهم لم يدخلوها كطرف اساسي فى التركيبة السياسية لـ م٠ت٠ف٠ ، لانهم يريدون ان تبقى السلطة فى ايديهم ٠ المواقف السياسية حقيقة تعبر عن المصالح الاقتصادية، وعناصر البرجوازية الفلسطينية التقليدية من مصلحتها ان تحدث تسوية الان ، لان التسوية تحقق لها شيئين فى وقت معا :

الشيء الاول : انها تستعيد جزءا من سلطة سياسية كانت تطمح بها قبل سنة ١٩٤٨ ، وهي السلطة السياسية التي حققتها زميلاتها من البرجوازية العربية فى مراحل سابقة وهي لم تحققها ٠

والشيء الثاني : لانها من الناحية الاقتصادية تستطيع ان تزدهر ازدهارا حقيقيا ٠ اذ تحل المشاكل المعلقة بين العدو الصهيوني وبين العرب ، فتصبح هي جسرا للتعاون الاقتصادي بين الكيان الصهيوني والاقطار العربية ، وهكذا تصبح كمبرادورا سمينا ، وتلعب دورها الاقتصادي كما تشاء ، لانها تعرف ان اية تسوية تتم ستضمن اعترافا وصلحا وحدودا مفتوحة ، والاعتراف والصلح والحدود المفتوحة سيجعل الضفة الغربية نافذة ، لحل مشاكل الاقتصاد الصهيوني ، وبالتالي هي ستكون حرس هذه النافذة بالتفاهم مع الرجعية العربية من جهة ومع العدو الصهيوني من جهة اخرى ٠ الان لنسأل انفسنا لماذا قبلت الشريحة البرجواية الصغيرة الحاكمة

فى م·ت·ف· ان تدخل ضمن اطار هـــذا التحالف ؟؟ ما هو الاساس المعنوي والمـادي السـياسي والاقتصادي لمثل هـذا الدخول ؟ هنالك عدد من الاسباب :

اولا : ماذا تمثل هذه العناصر من البرجوازية الصغيرة ؟ انها لا تمثل الشرائـح الثوريـة والديمقراطـية فى المجتمع الفلسطيني · وهي تمثل الشرائح المتخلفـة وعيـا ، من حيث الوعي الاجتماعي ، وهذا العامل كاف بحد ذاته ، مـع انني سأتحدث عن العوامـل الاخـرى التي تجعـل منهـا أقرب الى البرجوازية التقليدية منها الى العمال والفلاحـين الفقراء ، لان العناصر المتخلفة من البرجوازيـة الصغيرة ، انتماؤهـا السـياسي الى البرجوازيـة ولو تنـاقضت معها ، فليس لها ايديولوجـية غـير ايديولوجـية البرجوازيـــة ، وليـس بينها وبين البرجوازية التقليدية أي تناقضات جذرية حقيقية فى الميدان الايديولوجي · وهذا سبب كـاف · ياسر عرفـات لا يعتبر ان بينه وبين الملك خالـد او الملك فيصل أي تناقض سياسي أو اجتماعي او بينه وبين الملك حسـين · يعتبر ان هنالك صراعا على السلطة · وهـــو يريد سلطة وذاك يريد سلطة ولكن لا يعتبر ان هنالـك صراعـا حقيقيا بـين فئتين اجتماعيتين ، هذا سبب ·

السبب الاخر : ان هذه العناصر من البرجوازية الصغيرة تربت فى كنف الانظمة العربـية الرجعية وارتبطت بها ، منذ

ان بدأت نضالها · والعناصر التي يعتمد عليها ياسر عرفات فى الدعوة الى التسوية السياسية هي هذا النفر من المهندسين والاطباء والتجار ذوي الاصول البرجوازية الصغيرة الذين تربوا ونشأوا فى ظل انظمة رجعية والذين يعيشون فى الكويت والسعودية ولبنان · وهو باعتباره ممثلا لهؤلاء ، وباعتبار ارتباطه هو ومجموعته ، وارتباط هؤلاء بهذه الانظمة العربية ، فهو يتبنى خطها السياسي · وهذه الانظمة هي مع التسوية السياسية · وهذا ايضا اساس سياسي واقتصادي واضح يعني ليس خياليا · لكل هذه الاسباب ، لكون هذه الشريحة متخلفة من البرجوازية الصغيرة فهي مرتبطة ايديولوجيا بالبرجوازية التقليدية ، ببقايا الاقطاع اوكبار الملاكين العقاريين ، ولكونها نشأت فى ظل الانظمة العربية ، وفى ظل الفئات الفلسطينية المرتبطة بهذه الانظمة · فلان الذي يحمل جنسية كويتية لديه عمارة فى الكويت ، وعنده تجارة ووكيل « شارب » ، ولكن أصله برجوازي صغير، هؤلاء الناس مصلحتهم مرتبطة بمصالح هذه الانظمة ، وهم وكلاء لهذه الانظمة فى الثورة ، ويعملون على تحقيق اهدافها داخل الثورة ، لا على تحقيق اهداف الثورة فى داخل الانظمة · هذان السببان بما يتضمنان من عوامل سياسية واقتصادية ، هما السببان الحقيقيان لاتجاه القيادة الفلسطينية نحو التسوية ، ولزيادة ارتباطها بالملاكين العقاريين الكبار والبرجوازية التقليدية الفلسطينية ، ولزيادة ارتباطها بمعسكر التسوية العربي ، وعلى رأسه المملكة السعودية ومصر · هل يعني ذلك أنهم أصبحوا برجوازيين كبارا من

حيث الانتماء الطبقي ؟ من حيث الايديولوجيا والموقف السياسي ؟ نعم وهذا كما ان هنالك برجوازيين صغارا يخونون طبقتهم ، وينضمون الى الطبقة العاملة ، هنالك برجوازيون صغار يصعدون او يحلمون بان عليهم ان يصعدوا ليصبحوا جزءا من التركيبة البرجوازية التقليدية ، لان قضايا التغيير السياسي والاجتماعي ليست مطروحة لديهم .